19me, année No 958

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Le Caire 12 — 11 — 1951

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٢ صفر سنة ١٣٧١ — ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

إلى أخى فى الجنوب

للأستاذ أنور المعداوى

« يا أخى ؛ يا أخى فى الله والدين والوطن .. إن الأرض التى جمعت بين قلبى وقلبك لتجمع بين جراح وجراح ، وإن النيل الذى ربط بين روحى وروحك ليربط بين كفاح وكفاح . . أنا هنا وأنت هناك ؛ ويا بعد الشقة فى منطق الظلم البغيض ويا قربها فى منطق الحب المتغلغل بين طوايا الوجدان .. نحن يا أخى فى ميدان الجهاد يد تمتد إلى يد ، وفى معرض التضحية قدم تسعى إلى قدم ، وفى مجال الوفاء عاطفة تقبس من عاطفة !

من الحق أن ننعت الإنجليز بأنهم مثاليون فى بلادهم ؛ مثاليون فى قيم النزاهة ومعايير الخلق وموازين الضمير .. ومن الحق أيضا أن ننعتهم بأنهم مثاليون فى غير بلادهم ؛ مثاليون فى الأنانية والجشع ، وضيعة الضمير والخلق ، وانحطاط الشعور والإنسانية ، وانتفاء العدل والإنصاف . . وتلك هى المتاون الضخمة التى يسطر تحتها التاريخ كلماته الخالدة ، حين يعرض للحكم البريطانى فى كل أرض سكنها الأحرار فى كل زمان ومكان !

يا أخى ، يا أخى فى الله والدين والوطن .. إن الأنشودة الرائعة التى بدأناها فى شمال الوادى ، أنشودة الجهاد التى انطلقت من قيثارة الأحرار ، قد أذن الله أن ترسل أنغامها فى جنوبه ، وكل نغم إلى فناء ، وكل نار إلى رماد ، وكل ذكرى إلى نسيان ..

ولكن أنغامنا ستظل إلى الأبد ترن فى مسمع الزمن ، ولكن نارنا ستظل إلى الأبد تضىء الطريق للحائرين ، ولكن ذكرانا ستظل إلى الأبد قصة تروى وعطرا يفوح !

ولا علينا يا أخى من تلك القيود .. إن معدنها الرخيص سيذوب يوما تحت وهج النار المتأججة فى حنايا الضلوع ! ألا ليت الطغاة قد جعلوا شعار حكمهم هذه الكلمات التى انطلقت من أعماق بطل الحرية إبراهام لنكولن : « إن ضوء الشمس لا يفرق فى يد الله بين أحرار وعبيد ، فلم يفرق ضوء الحرية فى أيدينا بين أنصار وخصوم » ؟!

ومع ذلك فسنمضى اليوم وغدا جنبا إلى جنب ، وقلبا إلى قلب ، وعيوننا أبدا إلى الأفق البعيد » !

هذه كلمات وجهتها بالأمس على صفحات الرسالة ، إلى كل سودانى كريم على نفسه وكريم على وطنه ؛ كل سودانى أنزله من نفسى منزلة الود الخالص والأخوة السامية ، الأخوة التى استروحت أنسام الأرض الطيبة على ضفاف نهر واحد وتحت سماء وطن واحد . . واليوم ومعاول الاستعمار تحاول أن تهدم صرح الوحدة المقدسة ، يطيب لهذا القلم أن يقطف من روضة الشعور تلك الكلمات ، أو تلك الزهرات التى يدعو الله مخلصا أن يتضوع منها العبير ويعبق الأرج ؛ عبير الوطنية المتدفقة وأرج الوفاء الخالد ، هناك فى أقصى الجنوب حيث تخفق للدعاء قلوب وقلوب . .

إن الشمل لن يتفرق ، وإن البناء لن يتصدع ، ما دامت هذه

القطرات الأبية من الدم المسفوك على ضفاف القناة وفوق ثرى الخرطوم ، قد ألقت على الطغاة أروع الدروس فى التضحية والبذل والفداء ، وأقلقت منهم المضاجع وهى سارية فى العروق وهى جارية على الأرض ، وهى فى حركة الحياة الطليقة وهى فى سكون العدم . وحسبها من قداسة الوحدة أن يثيرها هناك عدو واحد ، وأن يريقها هنا سلاح واحد ، وأن ترتد فى نهاية المطاف إلى موضعها من هذا الثرى الحبيب !

يا أخى فى الجنوب ، يا أخى فى الله والدين والوطن .. بيننا وبينك هذه الكلمات ، أو بيننا وبينك هذه الأبيات ، إنها لشاعر لم يعرف فى حياته غير الصدق والوفاء ، حين يكون الصدق مترجما عن خفقة القلب ، وحين يكون الوفاء معبرا عن يقظة الضمير .. ولقد أهداها إليك بالأمس وما أشبهه باليوم ، حين مضت طلائع المرجفين تبذر بذور الفرقة بين الصفوف وتترك كلمة الله لتتبع خطوات الشيطان .. إن على محمود طه لا يزال يرفع صوته من وراء الأبد ، ليقدم إليك لوعة الشعر فى محنة الشعور :

أخى ! إن وردت النيل قبل ورودى ... فحى ذماى عنده وعهودى
وقبل ثرى فيه امتزجنا أبوة ... ونسله لابن لنا وحفيد
أخى ! إن أذان الفجر لبيت صوته ... سمعت لتكبيرى ووقع سجودى
وما صغت قولا أو هتفت بآية ... خلا منطق من لفظها وقصيدى
أخى ! إن حواك الصبح ريان مشرقا ... أفقت على يوم أغر سعيد
أخى ! إن طواك الليل سهيان سادرا ... نبا فيه جنبى واستحال رقودى
أخى ! إن شربت الماء صفوا فقد زكت
خمائل جنانى وطاب حصيدى
أخى ! إن جفاك النهر أو جف نبعه
مشى الموت فى زهرى وقصف عودى
فكيف تلاحينى وألحاك .. إننى ... شهيدك فى هذا . وأنت شهيدى !
حياتك فى الوادى حياتى ، فإنما ... وجودك فى هذى الحياة وجودى

• • •

أخى ! إن نزلت الشاطئين فسلهما ... متى فصلا ما بيننا بحدود ؟
رمانى نذير السوء فيك بنبأة ... تجلل بالأحزان ليلة عيدى
وقامت سمائى بعد صفو وأخرست ... مزامر أحلامى ومات نشيدى
غداة تمنى المستبد فراقنا ... على أرض آباء لنا وجدود
وزف لنا زيف الأمانى علالة ... امل بنا حب السيادة يودى
أخوتنا فوق الذى مان وادعى ... وما بيننا من سيد ومسود !
إذا قال « الاستقلال » فاحذره ناصبا
فخاخ « احتلال » كالدهور أبيد
وكم قبل مناك على وفر ما جنى ... بحربين من زرعى وضرع وليدى
فلما أتاه النصر هاجته شرة ... فهم بنكرانى ورام جحودى
ألا سله ، ماذا بعد سبعين حجة ... أأعجز موعودى ؟ أفك قيودى ؟
يبدلنى قيدا بقيد كأنه ... مدى الدهر فيها مبدئى ومعيدى

• • •

أخى ! وكلانا فى الإسار مكبل ... نجر على الأشواك ثقل حديد
إذا لم تحررنا من الضيم وحدة ... ذهبنا بشمل فى الحياة بديد
وما مصر والسودان إلا قضية ... موحدة فى غاية وجهود
سئمنا هتاف الخادعين بعالم ... جديد ، ولما يأتنا بجديد
وجفت حشاشات ومدن بمائه ... فلما دنا ألفت سراب وعود
وطال ارتقاب الساغبين لناره ... على عاصف يرمى الدجى بجليد
إذا يدنا لم تذك نار حياتنا ... فلا ترج دفئا من وميض رعود
إذا يدنا لم تحم نبع حياتنا ... سرى ريه سما بكل وريد
سيجريه ما شاءت مطامع قومه ... ويحبسه ما شاء خلف سدود
وكيف ينام المضفون وحولهم ... ظماء نسور أو جياع أسود ؟

• • •

أخى ! هل شهدت النيل غضبان ثائرا
يرج من الشطآن كل مشيد !
جرى من مصبيه شواظا لنبعه ... على نفثات من دم وصديد
وجنات نخل واجمات كواسف ... وأسراب طير فى الفلاة شريد
لدى نبأ قد ريع من هوله الصدى ... وضج له الوتى وراء لحود
جنوبك فيه والشمال تفزعا ... لتشتيت أهل وانقسام صعيد
أحال ضياء الصبح حولى ظلمة ... بها الحزن إلفى والعناء قعيدى
وسعر أنفاسى فأطلقت نارها ... على الظالم الجبار صوت وعيد
أرادك مفصوم العرى وأرادنى ... بهدم إخاء كالجبال مشيد
لياً كلنا من بعد شلوا ممزقا ... كطير جريح فى الشباك جهيد

٣ - الثورة المصرية ١٩١٩

للأستاذ أبو الفتوح عطيفة

بين الماضي والحاضر :

في زحام هذه العواطف الوطنية المتأججة في وادي النيل من منبعه إلى مصبه .. أكتب إليك أيها الأخ الكريم وأحاول أن أربط بين ماض مجيد وحاضر ليس أقل منه مجدا . ومما هو جدير بالتسجيل ذلك الوعي الكامل الذي يبديه شعب وادي النيل لقضيته وإعانه بها وضبطه لأعصابه رغم ما تتفجر به نفس كل فرد من أفراده من العواطف الملتهبة .. وذلك إرضاء لحكومته وطوعا لمشيئتها

وأحب أن أسجل أيضا أن القوات البريطانية ما زالت مستمرة في عدوانها الوحشي على سكان منطقة القنال العزل ، ففي كل يوم قتيل وشهيد وسلب ونهب واعتداء على الحريات واحتلال للأماكن والبلاد وتحكم للقوة وعسف وظلم وجور ؛ فليستمر البريطانيون في عدوانهم فإن ذلك كسب لمصر، وليعلموا أن كل دم يراق إنما يغذي شجرة الحرية في وادي النيل، وليعلموا تماما أن مقامهم في وادي النيل قد أصبح ضربا من المحال

وقد انضمت فرنسا الفاجرة وأمريكا الآثمة إلى بريطانيا فأيدتا سياستها ووافقتا عليها فانتصرتا للاثم والعدوان ، وهكذا أثبتت الدولتان ما لم يكن خافيا علينا نحن الشرقيين من أن هذه الدول لا تريد بنا خيرا ، وإنما تريد علينا سيطرة واستعمارا . إن هذه الأمم تدعى أنها نصيرة الحرية ، ومع هذا تطعن الحرية في مصر والشرق كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً . فليعلم هؤلاء الطغاة أن نهايتهم أقرب مما يتصورون

وقد وقفت الأقطار العربية الشقيقة بجانب شقيقتهم الكبرى مصر مما هز أركان الاستعمار الإنجليزي وزلزل دعائم الاقتصاد الأمريكي

وفي يوم الثلاثاء ٢٣ من أكتوبر ١٩٥١ وقفت مصر تحيي ذكرى شهدائها الذين أراق الطغاة دماءهم في يوم الثلاثاء ١٦ منه فقامت المظاهرات الوطنية في القاهرة والإسكندرية وشتى المدن والبلاد ، وأضرب الطلاب عن تلقي دروسهم وأغلق التجار متاجرهم وامتنع المحامون عن مزاولة أعمالهم في جميع المحاكم ، ولم يخل شبر في أرض الوطن العزيز من صوت يتقطع في صدر صاحبه .. هو صوت الحزن على ما أريق من دماء الشهداء . وقد تجلى في هذه المظاهرات جلال الوطنية وجلال الذكرى وإجماع الأمة وتأييدها لحكومتها

وفي السودان قامت المظاهرات تطالب بالحرية وتطرد المحتل الأجنبي والمستعمر الظالم حتى اضطر الحاكم العام الإنجليزي أن يطلب من قائد عام القوات المصرية التدخل لحفظ الأمن وإقرار النظام

لابد مما ليس منه بد :

لقد حاولت مصر أن تقيم علاقتها مع الدول الغربية على

يحايل شيطان الأساليب لم يدع مجالا لشيطان بهن مريد

* * *

على النيل يا ابن النيل أطلق شراعنا وقل لليالية المنية عودي

وأرسل على الوادي حمائم أيكه برنة ولحن أو شكاة عميد

وقل يا عروس النبع هاتي من الجنى ودوري علينا بالرحيق وجودي

وهي عذارى النخل فرعاء وارقصي بخضر أكاليل وغر عقود

ألا يا أخي واملأ كؤوس محبة مقدسة موعودة بخلود

إذا هي هانت قانع للشمس نورها وللقمر الساري بروج سعود

وقل يا سماء النيل ويحك أقلعي ويا أرض بالشم الرواسخ ميدي

وغيضي عيون الماء أو فتفجري لظى، وإن اسطعت الزيد فزيدي !

يارحمة الله للشاعر الخالد ، إنه في معركة الحرية لا يزال يسمعنا صوته وهو في عالم الفناء .. واليوم حين تبلغ المعركة أوجها يتخلف عن الإنشاد شعراؤنا الأحياء !!

أنور العداوي

أساس الحرية والاحترام المتبادل، ولكن هذه الدول أمعنت فى غيها ، فلما طالت المفاوضات اضطرت مصر إلى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ التى تربطها ببريطانيا وبدأت معركة التحرير

وقد وقفت فرنسا وأمريكا بجانب إنجلترا ، وهنا تقربت روسيا من مصر وطالبت أن تعقد اتفاقا تجاريا واسع النطاق مبنيا على أن تكون لها الأولوية فى شراء قطن مصر وعلى أن تعامل معاملة الدول الأكثر رعاية فى مقابل أن تصدر إلى مصر ما تحتاج إليه من أسلحة وذخائر وأخشاب وورق وقمح وبترول إلخ

وقد ذعرت أمريكا ، فإن الاستعمار الأمريكى استعمار اقتصادى وتهم أمريكا بفتح أسواق لتجارتها، ولعلنا جميعا نعلم مدى اهتمام أمريكا بمنطقة الشرق الأوسط إن ذلك يرجع إلى عاملين: أولا هذه المنطقة أغنى مناطق العالم بالبترول - ثانيا . هذه المناطق يمكن أن تصبح أسواقا هامه للتجارة الأمريكية

ولما كانت عداوة أمريكا وإنجلترا لمصر ستؤدى إلى انتشار التجارة الروسية فى مصر والشرق الأوسط . فقد اضطرت أمريكا إلى أن تحاول القضاء على الفكرة، وعرضت على مصر وساطتها فى حل الخلاف القائم بينها وبين إنجلترا فى ٢٤ أكتوبر ١٩٥١ . ولسنا ندرى كيف ينتهى أمر هذه الوساطة

الحماية والمعاهدة :

فى سنة ١٩١٤ أعلنت إنجلترا الحماية على مصر ولم تكن مصر قد طلبت هذه الحماية ، ولقد كانت الحماية باطلة من وقت إعلانها ، ومنما لثورة مصر فى وقت كانت بريطانيا فى حالة حرجة - إذ كانت الحرب قد قامت بينها وبين ألمانيا - أعلنت بريطانيا أن الحماية ضرورة حربية تنتهى بانتهاء الحرب . فلما انتهت الحرب وانتصرت طلب المصريون إنهاء الحماية وإعلان استقلال مصر ، ولكن بريطانيا رفضت فثارت مصر تطلب استقلالها وحريتها ولم ترهب قوة إنجلترا التى خرجت ظافرة من الحروب العالمية الأولى ، وانطلقت بريطانيا تعتدى على المصريين فأسالت دماء الأبرياء ونفت الزعماء، ولكن لم تضعف مصر بل صمدت وانتصرت فى النهاية وستحقق جميع أمانيها إن شاء الله

كانت الحماية إذن سبب ثورة ١٩١٩ الرئيسى ، ويحاول المؤرخون أن يكثروا من أسباب الثورات . صحيح كانت هناك عدة أسباب أخرى أهمها المظالم التى عاناها الشعب من السلطة العسكرية ومن الأحكام العرفية، فمن استيلاء على الأقوات ، ومن دفع المصريين قسرا إلى ميادين القتال باسم التطوع وتجنيد أكثر من مليون عامل وموت كثيرين منهم بعيدا عن الوطن، وإصابة الآخرين بأمراض وعاهات إلى حجر على الحريات ورقابة على الصحف وحل الجمعية التشريعية ونفى الوطنيين الأحرار واعتقال المخلصين والزج بهم فى السجون والمعتقلات، الخ

ويضاف إلى هذا الوعى القومى الذى أوضح للمصريين حقيقة نوايا بريطانيا، وذلك يرجع من غير شك إلى جهود الوطنى الأول مصطفى كامل باشا وخليفته محمد فريد بك ، وكذلك ما ارتكبته إنجلترا من فظائع فى وادى النيل كان أشهرها من غير شك حادثة دنشواى ١٩٠٦

وهنا أحب أن أذكر أن إنجلترا حين احتلت مصر قد لجأت إلى الحيلة والخداع : خدعت مصر إذ أعلنت منذ احتلالها مصر ١٨٨٢ عزمها على الجلاء، وأنها لن تقيم بمصر ، وخدعت العرب جميعا حين ألبتهم على تركيا فى أثناء الحرب الكبرى الأولى إذ وعدتهم بتحقيق استقلالهم إذا عاونوها، فثار العرب ضد الأتراك حلفاء الألمان، وكان لمصر وللعرب فضل كبير فى كسب إنجلترا للحرب الأولى وكذلك انتصرت فى الحرب العالمية الثانية بفضل مؤازرة مصر لها ؛ ومع هذا لم تلق مصر والبلاد العربية إلا شر الجزاء من الإنجليز ، فهم الذين مكنوا للصهيونيين من احتلال فلسطين وتشريد العرب وهم أصحاب البلاد الأصليين منذ آلاف السنين ؛ وها هى ذى بريطانيا تسفك دماء المصريين ظلما وعدوانا وترفض الجلاء عن مصر وتقف عقبة أمام وحدة الوادى ، وهى بهذا لا تبغى خيرا لنفسها ولا لمصر ولا للسودان ألا ساء ما تفعل !! ولو أن بريطانيا أعلنت حقيقة نياتها منذ الاحتلال وعزمها على البقاء والإقامة فى وادى النيل للقيت عنتا شديدا وإرهاقا فظيعا

وقد عبر عن هذا المعنى معالى الدكتور محمد صلاح الدين باشا

فى كلمته التى ألقاها فى مؤتمر الميثاق الوطنى الذى عقد بالقاهرة فى ٢٤/١٠/١٩٥١ أجل تعبير حيث قال : « إننا خدعنا طويلا ، وجاء علينا الدور لنخدع من خدعنا ، ونخضع من أخضعنا ، وأن تكون كلمتنا هى العليا . »

كانت الحماية إذن هى السبب الرئيسى لقيام ثورة ١٩١٩ ، وقد أعلن زعماء مصر أنهم يطلبون استقلال بلادهم منذ الساعة الأولى . أعلنوه حين قابلوا المعتمد البريطانى فى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ، وأعلنوه فى النداء الذى وجهوه إلى معتمدى الدول الأجنبية فى ديسمبر ١٩١٨ والذى جاء فيه :

« باسم الوفد المصرى أعلن إلى كل أجنبى فى مصر من ذوى المصالح أن هذا الوفد الذى يسعى بذمة أهل البلاد يقرن بسعيه للاستقلال احترام المصريين لحقوق الأجانب كل الاحترام »

وأتبع ذلك ببيان فى ١٠ يناير ٩١٩ جاء فيه :

١ : إن مصر تطلب استقلالها :

ا : لأن الاستقلال حق طبيعى للأمم .

ب : لأن مصر لم تهمل قط أمر المطالبة بهذا الاستقلال ، بل هى قد سفكت فى سبيله دماء أبنائها

ج : لأن مصر تعتبر نفسها الآن خالصة من آخر رباط كان يربطها بتركيا وهو رباط السيادة الإسمية

د : لأن مصر ترى أن الوقت قد حان لأن تعلن استقلالها التام الذى يؤيده مركزها الجغرافى وأحوالها المادية والأدبية

٢ — تريد مصر أن تكون حكومتها دستورية

وفى ٧ فبراير ١٩١٩ أعلن سعد زغلول باشا فى خطبة له فى دار جمعية الاقتصاد والتشريع بطلان الحماية قانونا حيث قال :

« إن بلادنا لها استقلال ذاتى ضمنته معاهدة لندن ١٨٤٠ واعترفت به جميع المعاهدات الدولية الأخرى . . إنكم تعلمون أيها السادة وكل علماء القانون الدولى يقررون أن الحماية لا تنتج إلا من عقد بين أمتين ، تطلب إحداهما أن تكون تحت رعاية الأخرى ، وتقبل الأخرى تحمل أعباء هذه الحماية ، فهى نتيجة عقد ذى طرفين موجب وقابل ، ولم يحصل من مصر ولن يحصل منها أصلا

فى ١٩١٤ أعلنت إنجلترا حمايتها من تلقاء نفسها بدون أن نطلبها أو تقبلها الأمة المصرية ، فهى حماية باطلة لا وجود لها قانونا . بل هى ضرورة من ضرورات الحرب تنتهى بنهايتها ولا يمكن أن تعيش بعد الحرب دقيقة واحدة . »

وهكذا كانت الحماية العامل الرئيسى فى قيام ثورة ١٩١٩ وقد نجحت مصر فى إلغائها ١٩٢٢ وإعلان استقلالها ثم انتهى الأمر بقيام معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وإنجلترا . وربما كانت هناك ضرورات أدت إلى توقيع هذه المعاهدة ١٩٣٦ ولكن الواقع أن هذه المعاهدة كانت كارثة على مصر فإنها لم تحقق للنيل وحدته بل أكثر من هذا أنها اعترفت بشرعية الاحتلال . وقد وقفت مصر بجانب بريطانيا أثناء الحرب العالمية الثانية وانتهى الأمر بانتصار بريطانيا فعملت مصر على مفاوضة بريطانيا لتعديل هذه المعاهدة على أساس تحقيق أهداف مصر وهى الجلاء الناجز عن الوادى وتوحيد مصر والسودان تحت تاج واحد، ولكن ذهبت جهود المفاوضين المصريين عبثا ، واضطرت مصر إلى إلغاء هذه المعاهدة وإلغاء اتفاقيتى السودان ١٨٩٩ ثم وضع نظام دستورى لحكم السودان وقيام دولة اتحادية من مصر والسودان وأصبح جلالة الملك فاروق ملكا لهذه الدولة وأصبح لقبه ملك مصر والسودان

ومما يجدر ذكره أنه كما كانت الحماية باطلة قانونا فإن معاهدة ١٩٣٦ بدورها باطلة قانونا ، وقد سجل ذلك السير أوبنهايم أستاذ القانون الدولى بجامعة كمبردج فى مؤلفه العالمى عن ميثاق هيئة الأمم المتحدة فذكر أن معاهدة ١٩٣٦ لا تتفق فى شىء ما مع هذا الميثاق فهى باطلة من أساسها ، إذ تنص المادة ١٠٣ من الميثاق على أنه « : إذا تعارضت الالتزامات التى يرتبط بها أعضاء الأمم المتحدة وفقا لأحكام هذا الميثاق مع أى التزام دولى آخر يرتبطون به فالعبرة بالتزاماتهم المرتبة على هذا الميثاق »

(لوبنا) للكلام بقية **أبو الفتوح عطيفه**

رحلة أبي الطيب المتنبي

من مصر إلى الكوفة

للأستاذ أحمد رمزي بك

القسم الثاني

تعد رحلة أبي الطيب المتنبي من مصر إلى الكوفة من أروع الرحلات في القرن الرابع الهجري نظرا لما تضمنته من أسماء البلاد والمواقع . وقد كان أبو الطيب حريصا في شعره على أن يسجل الكثير مما رآه في هذه الرحلة ، فقرن الأسماء بخياله الشعري، ووصل إلى درجة رائعة في القصيدة التي وضعها حينما دخل الكوفة والتي جاء فيها :

فلما أنخنا ركزنا الرماح   فوق مكارمنا والعلى
وبتنا نقبل أسيافنا   ونمسحها من دماء العدى
لتعلم مصر ومن بالعراق   ومن بالعواصم أني الفتى

وهي أبيات قرأت ترجمتها بالفرنسية شعرا فوجدتها لم تفقد من قوة المتنبي شيئا ، بل ظهرت شاعريته بلسان الفرنسيين

ولقد خرج أبو الطيب ليلة عيد النحر بعد أن تظاهر بالاستعداد للتضحية وكان قد اختار لنفسه أن يعلن عن عزمه بقصيدة مدح لزعيم من زعماء قيس النازلة في تلك الأيام بجوار بلبيس، وبالاطلاع على ديوانه نقرأ هذه القصيدة ونعلم شيئين:

الأول : كيف انتشرت قيس في إقليم الحوف الشرقي وكيف كانت لها السيادة في إقليم الشرقية

والتتبع لتاريخ عروبة مصر يجد أن قبائل لخم وجذام وعاملة وذبيان لها منازل بالأراضي المصرية.. ويرى كيف جاء بنو جزى وهم بطن من جذام، وبنو راشدة وهم بطن من لخم، وكيف انحدروا إلى أماكن عرفت بهم بين العريش ومصر، وكيف نزل من نزل منهم بالجزائر من أرض الحوف وهي الرمال البيضاء التي لم تكن تغمرها مياه الفيضان ، وكيف هبط قوم منهم بالمناطق بين صان الحجر والزنكلوم وهي التي يطلق عليها اليوم « الزنكلون » فهذه المناطق أصيلة في عروبتها ، ثابتة في أرومتها؛ فإذا ذكر أبو الطيب قيس عيلان في بلبيس فهو يقصد بمديحه أن يلفت أنظار كافور إلى أن طريقه سيكون إلى الشمال مارا بمنازل عرب الحوف ، فيأخذ كافور عليه الطرق والمسالك، ويقيم عليه الحرس ينقلون من أخباره

ولكن أبا الطيب كان قد اختار طريقا آخر ؛ فبدلا من أن يرحل إلى الدلتا نجد أنه قد أخفى السلاح وروايا الماء في الرمال وركب أسرع الهجن البيجاوية وهبط من الفسطاط جنوبا إلى خليج السويس ثم اتجه من هناك إلى الجنوب مبتعدا عن طريق الحاج ، فوجد أمامه واديا يسميه المعاصرون « وادي سدر » واسمه الصحيح « وادي الصدر » فإذا قطعه اتخذ سبيله إلى قلعة « نخل » القائمة للآن في شبه جزيرة سيناء، قطع هذا على ظهور الهجن في مرحلة واحدة لا تتعدى يومين

فبينما كافور يستعد للاحتفال بعيد الأضحى إذا به يفاجأ بهرب المتنبي فيقيم الدنيا ويقعدها ويسأل الدلالة وقاصي الأثر ، فلا جواب لديهم . .

وكان كافور يحكم مصر ويحكم الجزء الجنوبي من بلاد الشام ويسيطر على طرق المواصلات في سيناء ، وله الحراس في كل مكان والعيون تنقل إليه أخبار الناس ، فكيف فر أبو الطيب من قبضته ؟ إن هذه الرحلة جديرة بالبحث وقد حاولت منذ سنتين أن أعرف مكان « نجع الطير » وهو نصف الرحلة الأولى من رحلته . ورجعت إلى كافة المراجع التي بين أيدينا فلم أوفق

وتتبعت هجرة بني إسرائيل من مصر لعلي أجد فيها مايقنعني بتحقيق بعض الأسماء الواردة بين مصر وبلدة نخل في وسط سيناء ، ومع صبري وتحملي الطويل لم يسعفني كل ذلك لنتيجة حاسمة ترضي رغبتي

ويصف أبو الطيب هذه الفترة من حياته بقوله عن الهجن البيجاوية :

ضربت بها التيه ضرب القمار   إما لهذا وإما لذا
فمرت بنخل وفي ركبها   عن العالمين وعنه غنى

ولهذه القصيدة — كما قلت — رنين موسيقي وامتداد

بالنفس ومرور بالتغلب على مصاعب الأرض ومصاعب الطبيعة لا يمكن أن ينسى

أوردها ثم أنظار توارد الخواطر بين أبي الطيب ويوليوس قيصر في الشطر الأول من البيت الأول : فهو يشبه أقدامه في قطع الفيافي في هذه السرعة في قوله :

ضربت بها التيه ضرب القمار : والتيه هو أرض سيناء والقمار هو مجازفة أمام الحياة الحرة وأمام الوقوع بين براثن كافور ومعناه الموت وضياع الأماني

ويذكرني هذا المعنى بما أورده يوليوس قيصر في كتابه عن حروب روما في بلاد الغاليين ، حينما اشتبك في قتال معهم إذ قال (١) إنه ألقى بآماله بين يدي الأقدار كما يلقى المقامر بالزهر بين يديه ، فذهب قوله في اللاتينية مذهب الأمثال . فهل أطلع أبو الطيب على هـذا ؟ أو نقل إليه حديث قيصر ؟ أو هو مجرد توارد خواطر

ومن المدهش أن قيام إسرائيل بين مصر والبلاد العربية قد أثار طائفة من المشاكل : أولها ــ كيف الوصول إلى فلسطين وأراضي الشام والحجاز ؟

ولقد رأينا طول الحروب الصليبية بعض هذه المشاكل، وبعد المتنبي بقرنين من الزمن وثلاث وثلاثين سنة رأى صلاح الدين نفسه في نفس الموقف الذي وقفه المتنبي .. كيف يصل إلى أرض الشام والصليبيون يقطعون الطريق ويحولون دون وصوله ؟ لقد كان أبو الطيب يخشى كافورا وعيونه وحراسه، وكان صلاح الدين يخشى الأفرنج ومعاقلهم وحصونهم

والغريب أن صلاح الدين اختار أربعمائة من أشجع فرسان الأسدية من التركمان والأكراد وخيم في شمال القاهرة في بركة الحاج حيث تقوم الآن بلدة المرج . واتجه إلى بلبيس ، كما كتب أبو الطيب إلى زعيم بلبيس فلفت الأنظار إلى حركته في الشمال، ثم في ليلة واحدة قطع المرحلة من بلبيس إلى عجرود ونزل جنوبا بعيدا من طريق الحاج واخترق وادي الصدر الذي أشرت إليه وعرف كيف يسلك « إلى نخل » ولم يكن صلاح الدين فارا

(١) Alea jacta est le sort en jeté

فرار المتنبي . ولذلك تنبه للمواقع فأنشأ على الرابية التي تطل على وادي سدر « الصدر » قلعة لا تزال آثارها قائمة إلى اليوم، وربط الطرق والمسالك بسلسلة من المعاقل اتقاء هجمات الأفرنج وتسللهم إلى هذه المناطق الحساسة من البلاد العربية

ألا ترى أن رحلة أبي الطيب لم تكن من الأمور التي تسير على غير هدى، بل كانت موضع درس وعناية ، فلا تندهش إذن حينما تقرأ في خزانة الأدب للبغدادي صفحة ١٤٥ جزء ثان عن المتنبي لما كان في ضيافة عضد الدولة « وكان أبو جعفر وزير بهاء الدولة مأمورا بالاختلاف إلى المتنبي وحفظ المنازل والمناهل من مصر إلى الكوفة وتعرفها منه فقال : كنت حاضره وكان ابنه يلتمس أجرة الغسال فأحد المتنبي إليه النظر بتحديق فقال : ما للصعلوك والغسال ؟ يحتاج الصعلوك إلى أن يعمل بيده ثلاثة أشياء : يطبخ قدره ويعلف فرسه ويغسل ثيابه ، ثم ملأ يده قطيعات بلغت درهمين أو ثلاثة »

ويحدثنا الديوان بأن أبا جعفر أخذ شهرا من الزمن يحادث المتنبي في الطرق والمسالك ليأخذ عنه كيف خرج من الفسطاط وكيف وصل الكوفة في ربيع الأول سنة ٣٥١

وبينما أقلب كتابا عن المتنبي بالفرنسية علمت أن مستشرقا ألمانيا كرس جزءا من حياته لدراسة رحلة المتنبي، وأنا الذي اقتطعت القليل من وقتي لكي أتعرف على بعض هذه الرحلة أجد غيري سبقني إليها فلم أقنط وقلت : قبل اطلاعي على ما كتب فلأخرجها كما تشاء نفسي :

وأمست تخيرنا بالنقاب وادي المياه ووادي القرى

للكلام بقية — أحمد رمزي

الشخصية الرومنتيكية والحب الرومنتيكي

حول « رفائيل » للامرتين

الأستاذ محمد عبد الحليم محمود

كان القرن الثامن عشر في أوربا عامة ، وفي فرنسا خاصة ، عصر « العقل » — عصر التفكير المنظم المنطقي سواء في العلوم وفي الآداب

فلا محل في كتابات الأدباء ورسائل الفلاسفة للعواطف الجامحة والإحساسات الغامضة والمشاعر المختلجة والصبوات المضطربة التي تزخر بهـا النفس الإنسانية ، والتي لا تخضع لمنطق ما . .

كل شيء في هذا العصر حاول المفكرون تقنينه وفلسفته

لذلك ازدهرت فنون الأدب التي تحتاج قبل كل شيء إلى « العقل » . . فنرى « القصة الفلسفية » ، مثلا ، قد بلغت من الكمال حدا بعيدا على يد فولتير ومونتيسكيو وليساج وغيرهم

وهذا الفن من القصص لا يحتاج إلى الانفعالات النفسية يصفها ويحللها ، بل هو يعتمد قبل كل شيء على « النقد » : نقد المجتمع المعاصر بعيوبه ومهازله ، ونقد الحالة الأدبية والدينية والسياسية للبلاد ، في أسلوب من السخرية اللاذعة والتهكم الفلسفي الشيق

وبسبب هـذا الميل إلى التفلسف في القصة وقع المؤلفون ، وإن كانوا من أئمة الكتاب ، في شيء من الجفاء والإملال ، وأبعدوا من حقيقة الإنسان الحي ونفسه المضطربة العامرة بالمشاعر . .

فقصة « كانديد » للأديب الفيلسوف فولتير ، وهي تعتبر خير قصة ألفت في القرن الثامن عشر على الإطلاق ، لا يجد فيها القارئ سوى شخصيات فلسفية خيالية تمثل أفكارا وتعبر عن مذاهب ، وليس فيها من « الإنسانية » إلا الشيء القليل ؛ فهي دمى وعرائس يحركها المؤلف لغرض في نفسه ، غير حاسب حساب النفس البشرية بمـا تنطوي عليه من أسرار ومتناقضات

وكان لا بد من رد فعل قوي لهذا النوع من « عبادة العقل » التي سيطرت على أغلب إنتاج القرن الثامن عشر . . . فالإنسان ، لأنه إنسان ، ليس عقلا كله ، ولا يستطيع أن يخضع القيم النفسية الذاتية لميزان المنطق وحساب الفكر الفلسفي المجرد

وجاء رد الفعل في صورة المذهب الرومانتيكي

وكما غلا فلاسفة القرن الثامن عشر في تقدير العقل والمنطق والتفكير الفلسفي . . غلا الرومانتيكيون ، أو إذا شئت فسمهم « الابتداعيين » في تقدير « الذاتية » والعاطفية، وفي تمجيد انفعالات النفس البشرية وأسرارها

وسيطر هذا المذهب على سائر فنون الأدب زمنا طويلا

ويهمنا هنا أن نتبين أثر الرومانتيكية في القصة

لقد نشأت فنون جديدة من القصص أبعدت كل البعد عن التحليل الفلسفي الجاف ، وراحت تبحث في أعماق الإنسان عن العواطف والإحساسات والمشاعر في شتى صورها

واحتل « الحب » مكان الصدارة من هذه القصص لأنه أقوى وأجل عاطفة في الإنسان

واحتلت شخصية « العاشق العذري » المكان الأول من شخصيات القصة

وإذا أردنا أن نشهد صورة لهذا الحب الرومانتيكي ، وأن نجتلي طلعة العاشق الرومانتيكي ، فخير قصة ننظر فيها هي ، في رأيي ، قصة « رفائيل » ، للشاعر لامارتين ، التي ترجمها أستاذنا الكبير الزيات بك إلى العربية

فهذه القصة تمثل أصدق تمثيل المذهب الرومانتيكي في الأدب . بطلها صورة دقيقة لمـا كان يرتسم في أذهان القراء والكتاب على السواء ، إبان ذلك العصر ، من ملامح العاشق الكامل . . والحب فيها هو مثال الحب العذري الصوفي الكامل

الذي رأى فيه الرومانتيكيون مثلهم الأعلى . .

لذلك رأيتني ، عندما أردت رسم الشخصية الرومانتيكية والحب الرومانتيكي مدفوعا إلى اختيار شخصية رفائيل وحبه لجوليا في رواية لامارتين الخالدة

وقد اعتمدت كثيرا ، إلى جانب الأصل الفرنسي ، على الترجمة العربية

رفائيل فتى من أسرة ريفية كريمة الأصل ، وإن كانت فقيرة ، خبت فيه وقدة القلب وهو في شرخ الشباب ، وفقد ثقته بالناس ، وملت نفسه عشرتهم وضاع أمله في السعادة ؛ فراح يبحث عن العزلة في قرية آمنة ، على شاطئ بحيرة جميلة ، بين أحضان جبل شامخ . . وإذا به يلاقي هناك فتاة تحيي في نفسه موات الأمل ، وتعيد إلى قلبه حرارة العاطفة ، وتجعله يشعر من جديد بجمال الحياة

العزلة النفسية :

إن مثل هذه الشخصية تميل إلى التأمل في نفسها ، وفي الطبيعة ، وفي الوجود كله ، فهي تحتاج من أجل ذلك إلى الهدوء والسكينة . ثم إن رفائيل ليست له أطماع أو أطماح في هذه الدنيا ، بل هو يزدري المجتمع ويحتقر الجاه ، ويشعر بقيمة نفسه وبسمو ذاته التي لا ترضى إلا بالعزلة المطلقة . . العزلة النفسية التي تقضي على كل صلة بينه وبين المجتمع ، لم تأت عليها عزلته المادية في قريته النائية بعاطفة سفوا . .

دور الطبيعة في الشخصية :

رفائيل يؤمن بأن الطبيعة يتصل سلكها بحبات القلب ومشاعره ، فهي جزء من النفس والنفس جزء منها ، وإن ما يجري في عناصر الطبيعة من الحياة هو نفسه ما يجري في عروق الإنسان منها . وهو لذلك يكتئب حينما تتلبد السماء بالغيوم ؛ وينشرح قلبه عندما تشرق الشمس ، وتهدأ العواصف : وتعود السكينة إلى الطبيعة فتعود أيضا إلى نفسه . . . وأحب رياضة إليه التجول وسط الحقول ، أو التنقل على صفحة البحيرة ، أو صعود المرتفعات ، أو اجتياز الأحراج ؛ والطبيعة عنده ، فوق كونها صديقة الإنسان الوفية يبثها آلامه وأفراحه ، هي أجل مظهر من مظاهر قدرة الإله

رجل خير :

إنه يحب الخير لغيره ، ويعمل جهده على مساعدة المحتاجين : فهو في وطنه يطعم الفقراء ، ويعلم الصبيان ، ويعين الفلاحين في أعمالهم . وهو عطوف حنون ، يميل إلى الضعفاء ويحب كل كائن معذب شقي : وهو لذلك قد عطف على جارته في الفندق عندما علم أنها مريضة متألمة ؛ وفي أيامه الأخيرة كان جل همه توفير الطعام لأسراب من طيور السند قد اتخذت منزله ملجأ وحمى

حساسية مرهفة :

هو رجل رقيق الطبع ، شاعري المزاج ، مثالي النزعة ، قد تجرد من الأطماع والأغراض . فهو لذلك يمتاز بحساسية مرهفة ، أو قل : إن هذه الحساسية المرهفة هي السبب في رقته وشاعريته ومثاليته وتجرده من الأطماع والأغراض . وهذا الشعور المرهف يجعله ينفعل لكل ظواهر الجمال في الدنيا : جمال الطبيعة وجمال الحب وجمال الآداب والفنون . . . ثم بجمال القدرة الإلهية فوق كل جمال . .

أجل ! فهو يؤمن بوجود إله خالق خير يهيمن على هذا الكون ويدبر أموره . وهو دائما يذكر الله ويذكر السماء عند ذكر الحب والحبيبة ، فهو يمزج بين الحب والدين ، أو هو يجعل عبادة الجمال نوعا من عبادة الله ، لأن الله هو الجمال المطلق

دور الحب في الشخصية :

كان قبل أن يحب يؤمن بأن الحياة بما فيها من شقاء وملل لا تستحق أن يحياها إنسان . فلما أحب ، وأيقظ الحب شعوره الراكد ، وحرك حسه الجامد ، ورفعه إلى أعلى مدارج السعادة الروحية ، أصبح يرى أن الحياة ، لفرط ما فيها من لذة سامية ، يخشى عليها أن يعكر صفوها حدث من الحدثان في عالم الغيب ، لذلك يريد أن يموت في أوج سعادته ، قبل أن يفجأه القدر المشئوم ، ويفجعه في حبه ...

رفائيل ولا مارتين :

الرومانتيكية تبحث قبل كل شيء عن « الذاتية » . فإذا كتب كاتب فإنما يعبر عن دفين أسراره ، وإذا رسم فنان فهو يعبر عن خلجات نفسه واضطرابات حسه ... ولا مارتين ، عندما صور بطل قصته ، فقد صور فيه نفسه : نفسه التي تنزع إلى المثالية في العاطفة والزهد في الحياة والتصوف في العبادة . . . وعشق كل ما هو جميل في الكون

السأم ، والتألم الهادئ :

الصفة الغالبة على كل شخصية رومانتيكية هي : السأم الفطري الذي لا سبب مباشر له ، والتألم الهادئ الرقيق . . . ورفائيل مثلا في مقتبل العمر وشرخ الصبا لم يصبه من الصدمات ما يبرر عزوفه عن العمل ، ويأسه من كل شيء وابتعاده عن الناس في شيء من القسوة على نفسه وعلى أقرانه ... ولكن هي الطبيعة الرومانتيكية تأبى إلا أن يكون صاحبها إنسانا يمتاز بالحزن الدائم والتشاؤم وفقدان كل أمل . . .

وليس الحزن الرومانتيكي بالحزن الصارخ القبيح ؛ بل هو ضرب من الألم الوجداني الهادئ ... ألم شاعري رقيق ، يجلب العطف ويضع على الشخصية صبغة مميزة جميلة ...

وأما الحب الذي ربط بين قلب رفائيل وقلب صاحبته « جوليا » ، التي هي صورة أخرى من الشخصية الرومانتيكية الممثلة في رفائيل ، فقد كان حبا مثاليا أقرب إلى ما يسميه الإفريق بالحب الأفلاطوني ، والعرب بالحب العذري

أهم صفات هذا الحب الرومانتيكي :

التفاني :

هو مريض النفس ، سئم الحياة ومل المجتمع وعاش وحيدا في دنياه ... وهي مريضة الجسد تحب العزلة وتنطوي على نفسها في يأس ومرارة ... « كلاهما طريد هم و وحيد غربة ونضو سقام وأليف وحشة » ... فأحبها لأنها تشبهه إلى حد بعيد ... بل هو كان يحب فيها نفسه ... وقد أصبحا فيما بعد ، لفرط حبهما كأنهما شخص واحد : « وإنما أنا ظل بشخصك » ... لقد رآها فاحتواها في نفسه ، ولم يعد في مقدوره أن ينتزعها من أعماقه ، وهما إذ يلتقيان ليسا في حاجة إلى الكلام ، لأن كليهما يفهم ما يدور بنفس الآخر ، بل لأن روح كل منهما قد حل في روح الآخر : « فأتحول إليها ، وتتحول إلي ، حتى لا يستطيع الله نفسه ... أن يفصل ما مزج الحب وأحالته معجزة الهوى »

العطف والاعتراف بالجميل :

لقد بدأ حب الفتى لصاحبته بنوع من الرثاء لحالها والتألم لمرضها . وقد لفته أول ما لفته إليها هزالها البادي وشحوبها ، فأدركته لها رقة ورحمة وهي بدأت تحبه عندما شعرت بعطفه عليها ، إذ كانت « محرومة نسب القلب وصلة الروح في ربيع شبابها » ثم أفاقت فجأة لتجد إلى جانبها عناية وإخلاصاً وحناناً ، فلم تمالك أن حركت لسانها بهذه الجملة المؤثرة : « لك الحمد يارب لقد رزقتني أخاً » . وقد زاد من حبه لها أنها أيقظت فيه الشعور بالحياة ، وجلت لعينيه مسارح الخلود ... نظرة واحدة منها كفلت له تجديد كيانه ، وتغيير وجدانه ، وبعثه من رقود ، وإمتاعه بأيام سعادة لا مدى لها

العبادة واللانهائية :

المرأة التي يحبها في نظره إله ، أو على الأصح فالإله يتمثل فيها . لذلك فهو يقرن ذكرها بذكر الله ، ويهم بالركوع أمامها إذا لقيها ، ويصلي لها في حرارة وإيمان : « أحمد الله وهي في نفسي اتحادا تاما » .. « فكأن الهوى والعبادة يتزجان فيها بمقدار واحد » ... لذلك فهو يقدس حبهـا ويؤمن بألوهيته ، ويتعبد لتلك المرأة التي « جلت بجنانها عن أن تكون إلها ، وسمت بقداستها عن أن تكون امرأة »

وما دامت الحبيبة شبه إله فالحب لا حد له : إنه حب أشبه « بسر بعيد الغور شاع في جوانب النفس بالإحساس لا بالكلام فهو نور من غير نار ، وسكر من غير خمار ، وهو كامل لا يعدو ولا ينفصل ، ووحدة لا تجزأ ولا تحلل ، يفيض على النفس نشوة لا تحد ، ويجلو للقلب من أسمى المعاني ، ويكشف للبصيرة عن وجود الله ذاته . . . والعاشقان يفهمان من الحب : « الخلود نستوعبه دقيقة ، واللانهاية نستقصيها إحساسة رقيقة » ، ثم هما

يؤمنان بخلود النفس البشرية ولا نهائيتها لأنهما يشعران عند اللقاء بذلك الخلود وبتلك اللانهائية ...

الطهارة :

مثل هـذا الحب القدسي لا يمكن أن يكون حبا شهوانيا ، إنما هو عشق روحين واتصال قلبين ، ورباط بين شخصين مثاليين . إن الفتى لا يحب في صاحبته الجسد الزائل والجمال الفاني ، لكنه يحب مثالا في نفسه يتعشقه ، وصورة عليا يصبو إليها وجدانه ... إنه يحب فيها « طيفا من طيوف الغيب » ، ويبحث لديها عن ذلك الشعور بالراحة « الذي يجده من ظفر بحاجة طالما نشدها فما وجدها ، ويدركه القلب العابد القانت ... حتى إذا أدركه علق به علوق الحديد بالمغناطيس ، وفني فيه فناء النفس في الهواء » . وهو سواء على القرب منها والمشهد ، أو على البعد والغيب ، يراها في نفسه ، وما عداها لا يشغله ولا يعنيه ..

والحب في نفسه تطهير وتصفية : إنه شعلة اللهب تحرق وتلذع الحس ، ولكنها تضيء كوامن الوجدان وتنير للقلب عالم السماء ... وقد هفا حس الفتى الحيواني في ساعة من ساعات النشوة فوق مياه البحيرة إلى جمال صاحبته الجسدي ، ولكنها سرعان ما ردته ، بإخلاصها وطهارة نياتها وتفانيها في حبه ، إلى صوابه الضائع ؛ قالت : « ألا تعتقد أن حبنا يكون أمتع وأرفع وأبقى وأنقى ما دام مصونا في خدر العفاف ، نازلا في مناحي الخلود ، حيث لا يتقلب الحدثان ولا يعدو الموت ؟! »

الحب والحياة :

كان الحب عند بطلي الرواية مثيرا لظاهرتين متناقضتين في نفسيهما : الأولى بعث الحياة في الجسد ، والثانية إثارة الرغبة في الموت في أعماق القلوب

فالفتاة عندما أحبت انتعشت نفسها وخفت أمراضها وشعرت بالقوة والحيوية تسريان في شرايينها ، وإن كان ذلك إلى حين .

والفتى أحس أن العبقرية إنما يستمدها الإنسان من الحب ، ووجد في حبيبته « قصيدة إلهية رائعة » يستمد منها الإلهام ، بل يستمد منها الحياة ...

ولكن الحب قد بلغ بهما منتهى ما تصبو إليه الروح من السعادة ... وهما يخشيان بعد ذلك أن يوقظهما من حلمهما الجميل ما يحيط بهما من واقع أليم ... وهما لذلك يصبوان إلى الموت قبل أن تحيق بهما الكوارث ، ولكي يظلا متحدين اتحادا روحيا تاما في الآخرة كما كانا في الدنيا

الطبيعة :

الطبيعة تلعب دوراً خطيرا في مسارح الحب الرومانتيكي ، فهي صديقة كل عاشق يبوح لها بعواطفه ، ويبثها أشجانه ، ويسر إليها بنجواه ، ولا يجد الراحة والسلوى إلا بين أحضانها الزاهرة

محمد عبد الحليم محمود

عن الظرفاء

محمد إمام العبد

للأستاذ محمد رجب البيومى

يدور حديث الأدباء عن إمام فى خفوت وهمس ، فأنت تجد من يذكر له النكتة الرائعة ، أو البيت الجيد ، أو الحادثة الغريبة ، دون أن يتعدى ذلك فى قليل أو كثير ، فإذا أردت من يلم بدقائق أخباره ، وينشد روائع أشعاره ، ويحلل مواقفه الاجتماعية والأدبية أعوزك أن تهتدى إلى ضالتك المنشودة ، وخيل إليك أن إماما شاعر قديم نشأ منذ قرون بعيدة ، وسكتت عنه المراجع التاريخية ، فما جاء عليه أحد معاصريه بترجمة وافية تضمن لتاريخه البقاء ، مع أن شاعرنا البائس أديب معاصر ، لا يزال يوجد بين أدبائنا من سامروه وحفظوا عنه وتندروا به ، ولكن بؤسه الذى صحبه فى حياته قد امتد إلى تاريخه ، فكاد أن يأتى عليه . والبؤس طاغية جبار ، يصاول الأحياء فى عنف وطغيان ، فإذا لفظوا أنفاسهم بين يديه ، عدا على القبور ، فمزق الأكفان وبعثر الأشلاء !

ولد إمام من عبدين رقيقين قد جلبا من السودان ، وبيعا لبعض الأثرياء ، فورث عنهما السواد والدمامة والبؤس ، ونشأ فى كنفهما يقتات بما يتساقط من فتات الموائد وبقايا الصحاف ، وكأن القدر لم يشأ أن يحرمه كل شئ ، فمنحه القوة فى الجسم ، والبلاغة فى المنطق ، والخفة فى الروح ، فكان رياضيا ممتازا يصرع أقرانه لدى الصيال ، وشاعرا مطبوعا يحتكم فى القوافى والأوزان ، وخطيبا تعرفه الحفلات السياسية ، والأندية الاجتماعية ، وسميرا يؤنس سامعيه بالملحة النادرة ، والفكاهة العذبة ، وقل أن يجتمع هذا كله لإنسان !!

وكان لونه الأسود موضع التندر بين زملائه وعارفيه ، فقاسى من جراله كثيرا من ألوان التهكم والاستخفاف ، وهذا ليس بعجيب ، فقد ابتلى كثير من الأدباء قبله بلواه ، فدافعوا عن أنفسهم أبلغ دفاع ، وحفظ لنا الأدب قلائد فاتنة لنصيب وعنترة والجاحظ ، يهاجمون بها من ينتقصونهم فى أمر لا يوجب النقيصة بل وجد فيهم من فضل السواد على البياض ، ودبج فى ذلك الفصول الطوال !!

وكان حافظ إبراهيم رحمه الله أقسى التهكمين لهجة ، وألذعهم سخرية ، وكانت فكاهته معه تأخذ طريقها إلى الألسنة فى سرعة فائقة ، فما يكاد شاعر النيل يرسل تندره العابث بصاحبه ، حتى يتقدم إماما فى كل مجلس يغشاه ، وطالما وقعت بين الشاعرين جفوات متقطعة لما يلوكه حافظ من حديث إمام ، ثم لا تلبث السحب أن تنقشع ، لما بينهما من صلات جمع بينها الشعر والبؤس والفكاهة وأكدها صفاء النفس ، ونقاء الضمير ، وقد اشتهر إمام بالشاعرية قبل صديقه ، فكان حافظ فى صباه يعرض عليه ما يفيض به خاطره من بيان ، فيقوم إمام بصقله وتجويده وتركيبه ، ثم مضت الأيام فإذا شاعر النيل يطير بشعره فى آفاق الشرق العربى ، وإمام البؤساء لا يجد من يروى قصائده غير حفنة يسيرة لا يمكن أن تلحق برواة حافظ ، ! وينظر العبد إلى مكانه من صاحبه ، فيوسع عشاق حافظ لوما وتسفيها ، كما يعلن أستاذيته له فى كل ندوة يدور بها الحديث عن الشعر والشعراء ، وحافظ يرد عليه بنكاته العابثة ، وفكاهته الساخرة ! فينتصر عليه أى انتصار !!

نظم إمام فى الخمر أبياتا رائعة صادفت هوى فى الأسماع والقلوب ، وأذاعتها الصحف مقرظة مادحة ، وانتظر الشاعر من حافظ أن يوفيها قسطها من الإطراء والإعجاب ، ولكن شاعر النيل يصيح فى ندوة حافلة بالسمار والأدباء « إن مثل إمام فى الشعر كمثل « بخيتة » فى المطبخ ، إذا هى أفلحت فى تمرير « اللبة » شاع عنها بين أهل الحى كله أنها سيدة الإماء ، وكذلك يتلقى الناس أبيات إمام فيهللون له لأنه مر « اللبة » بنجاح » !!

والواقع أن حافظا كان مريضا بمعابثة إمام ، فهو لا يرحمه بالسكوت عنه مها بالغ فى التودد إليه ، وكان لا يقصر تندره على قصائده وأبياته ، وهى أغنى ثروة يعتز بها الشاعر أى اعتزاز ، بل ينتقل إلى ملبسه ومأكله وهيئته ، فيوسعه سخرية وعبثا ، !

لقيه ذات مرة يلبس « كرافتة سوداء » فصاح به : « أقفل قميصك أيها العبد ، فصدرك الأسود يضجر الناس ! » ووجده مرة يكتب خطابا ، والمداد يتساقط من قلمه فقال « جفف عرقك يا إمام » !! وأمثال هذه المأثورات الحافظية متداولة مشهورة ، وكان فى طوق إمام أن يؤدب صاحبه بيأسه وصرامته ، ولكنه كان فى أكثر أحواله ينفق من جيبه ، ويقاسمه قروشه ومليماته مما يدعو إلى التسامح والإغضاء !

ولم يكن حافظ وحده يستغل سواد إمام فى تندره وسخريته، بل إن إماما نفسه قد اتخذ منه مادة دسمة للحديث عن نفسه ، فهو لا يفتأ يردده فى قصائده وأزجاله ويستلهمه كثيرا من المعانى الجياد ، فإذا تحدث الشاعر عن بؤسه وفاقته دار حول سواده ودمامته ، وإذا لفحه الحب تذكر سواده الفاحم ، فانتزع منه الخواطر المشجية — وهكذا يصبح السواد مركب النقص لديه ، يشعر به فى ألم ومرارة فيسلمه أزمة القوافى والأوزان

إقرأ إن شئت غزله المطبوع ، تجده يدور فى أكثر قصائده على ما منى به من حلوكة دامسة ، وهو فى كل مقطوعة يبتكر ويجدد ، فهو تارة يقع فى حوار مع معشوقته البيضاء ، فيسألها أن تسدل الليل البهيم على بدر الدجى الساطع ، فترفض فى إباء واستعلاء ، وتتعجب من عبد أسود يطمع فى غرام غانية عزت على الأحرار البيض ، فيجيبها بما يثبت حريته واستقلاله ، ويصور ذلك إذ يقول :

عذبى القلب كما شئت ولا … تكثرى اللوم فمثلى لا يلام
واسدلى الليل على بدر الدجى … لحديث الشوق يحلو فى الظلام
همت بالوصل فقالت عجبا … أيها الشاعر ما هذا الهيام
لم ينل منا الرضا حر وما … رام منا سيد هذا المرام
أنت عبد والهوى أخبرنى … أن وصل العبد فى الحب حرام
قلت ياهذى أنا عبد الهوى … والهوى يحكم ما بين الأنام
وإذا ما كنت عبدا أسودا … فاعلمى أنى فتى حر الكلام

وهو تارة يعلن أن لونه لم يكن مسودا قبل غرامه ، ولكن لهيب الشوق أحرقه فى قسوة فأحاله من البياض إلى السواد ، ولك أن تتصور الجسم الأبيض وقد اشتعلت فيه النار حتى تركته فحمة سوداء !! وهو تعليل طريف مستملح ، ولكنه ادعاء باطل تضحك من الشاعر إذ يصيح به فيقول :

كتمت فأقصانى وبحت فلامنى … فهاج غرامى بين سرى وإعلانى
وما كان لونى قبل حبك أسودا … ولكن لهيب الشوق أحرق جثمانى

وكأن الشعر لم يتسع ببحوره الضافية لعواطفه « السوداء » فنظم كثيرا من الأزجال المرحة تحوم فى مجموعها حول سواده ودمامته ، وعشاق الزجل يعجبون ببراعته وإبداعه ، ويشيدون بقصيدة « الزنجية الحسناء » وفيها يقول :

الناس لها مذهب فى البيض … ومذهبى حب السودان
مرجان متيم ببخيته … وبخيته مجنونه بمرجان
مين اللى قال الحب عذاب … يا ناس وحق الله افتونى
الليـــل وعجوبتى أحباب … إزاى عواذلى يشوفونى

ونلاحظ ونحن نطالع غزله المرح ، أنه كان مشبوب العاطفة، صادق الصبوة ، فهو يغمرك بفيض من الإحساس الصادق ، ونحن لا ننتظر من شاعر مثله أن يثب مع الخيال إلى أجواء عالية، فقد كان فى عهد يقتصر فيه الشعراء على التعبير الفطرى ، والإحساس الأولى ؛ دون جنوح إلى التأمل والاستغراق ، بل إن إماماً قد سلم مما ارتطم فيه معاصروه من الجناس المستكره ، والطباق الثقيل ، واندفع إلى التعبير عن خواطره فى سلاسة ونصوع ، وحسبك منه أن يسكر لسانك بحلاوة اللفظ ، ويطرب سمعك بعذوبة النغم ، إذ يقول

أرى لوعة بين الجوانح لا تهدا … أهذا الذى سماه أهل الهوى وجدا
وما ذلك الواهى الخفوق بجانبى … أهذا هو القلب الذى يحفظ العهدا

أو يقول :

كان هذا الغرام يجرى ورائى … فى شبابى فصار يجرى أمامى
إنما الحب كهرباء عيون … عيون تسرى إلى الأجسام
ما خضعنا لدهرنا وهو ليث … وخضعنا لنظـــرة الآرام

أو يقول :

أقام الهوى عشرين حولا بمهجتى … وسار ، فمن أوحى له برجوع
كأن الهوى ما أكرمته ربوعها … وصـــادف إكراما له بربوعى

ورغم هذه المقطوعات الجياشة بالحنين إلى المرأة ، التشوقة إلى ظلالها الوارفة ، وروضها البهيج ، قد قضى الشاعر حياته عزبا لم يتزوج ، ولسنا نحار في تعليل ذلك ! فتكاليف الزواج مرهقة لا يحتملها شاعر معدم ، تتلوى أمعاؤه في أكثر أوقاته جوعا وسغبا ، ويتحرق إلى مسكن ضئيل يقيه برد الشتاء وحر الهجير ، وقد كان الأدب على عهده لا يغني من جوع ، أو يدفع من فاقة ، بل يظل الأديب مترددا على الأندية والمقاهي دون أن يجد من يدفع به إلى باب يرتزق منه ، وكانت الصحف السياسية والأدبية من القلة بمنزلة لا تهيئ لها النهوض بحملة الأقلام ، وبخاصة إذا كانوا من طراز إمام ممن يتهالكون على الشراب تهالكا يستنفد جميع ما لديهم من المال ! وتلك حالة جديرة بالرثاء والإشفاق !! وقد نظر إمام إلى الزواج ككارثة مروعة تؤجج اللوعة والحيرة ، وصور للقراء ما يعقبه من تبعات ومصاعب ، ونحن لا نؤيده في دعواه ، ولكننا نعرض جانبا من أبياته ، ليضيء ما يغشاه من اضطراب وقلق ، وإن كنا نرجع باللائمة إلى سلوكه المضطرب ، وتربيته العوجاء ، وزمنه الجحود ، اسمعه يقول :

أيها العاقل المهذب مهلا ... هل رأيت الزواج في الدهر سهلا
كل عام يزاحم الطفل طفل ... ليتني عشت طول عمري طفلا
ذاك يحبو ، وذاك يمشي ، وهذي ... فوق صدر ، وتلك تنشد بعلا
ضاق صدري من الزواج فمن لي ... بحياة الخصي قولا وفعلا
كان هذا الشق جسما فلما ... أنهكته الهموم أصبح ظلا

وهكذا يئس الشاعر من الزواج فلم يطرق بابه ، وقد ادعى في مقطوعة أخرى أن لديه مانعا يحول دون زفافه ، فهو كالليل الحالك ، وكل حسناء شمس منيرة ، واجتماع الليل والشمس من ضروب المحال (١) ، وهذا ادعاء خطابي ، فلكل ساقطة لاقطة كما يقولون

وتسائلني عما نظمه إمام البؤساء مصورا فاقته وعدمه ! والحق أنه أسهب في تبرمه وتوجعه لحالته ، وكان يحز في كبده أن يجوع وتأكل الماشية ، ويعرى وتكتسي الأضرحة ، ولولا أنه كان يسري عن نفسه بمجالس السمر ومطارح الفكاهة ، لاحترق بما يشتمل في صدره من جحيم ، وقد كان ككل أديب بائس — يظن لديه من الحصافة والمرونة ما يؤهل له العيش الرغد ، والنعيم الهنيّ فإذا صدمه الواقع المرير بالبؤس والمتربة ثار على الوضع الجائر ، وندب الحظ العاثر ، وتطلب المكانة التي يصورها له خياله ، وإنها لبعيدة عنه أشد ابتعاد !! وقد كان من القسوة الغليظة أن يلقبه الناس بالعبد وهو الأديب الحر العيوف ، وماذا يصنع في لقب ورثه من أبيه ، ولازمه كالظل فما ينفك عنه أبد الحياة ، إنه ليقابله بالعتب المرير ، ويصيح كالساخر العابث :

نسبوني إلى العبيد مجازا ... بعد فضلي واستشهدوا بسوادي
ضاع قدري فقمت أندب حظي ... فسوادي على ثوب حداد

وإذا كان السواد ثوب حداد على حظه الضائع ، فإنه في موضع آخر حداد على قلمه الكاسد !! هذا الذي لا يجر نفعا لصاحبه ، وهو أحرى أن يملأ يديه بالذهب النضار ، لو عاش بين قوم يقدرون فضله ، ويحترمون مواهبه ، وقد عنّ للشاعر أن يكون قلمه سهما مسددا إلى فؤاده ، فيريحه مما يكابد من عناء !! وتلك أمنية ترمض الجوانح ، وتدمي الجفون ، ولكنها في رأيه سبيل الخلاص ، ومرفأ النجاة ، ها هو ذا يقول :

لبست لأجله ثوب الحداد ... وعدت مع الزمان بغير زاد
أمد يدي إلى قلمي افتقارا ... فيدفعني إلى تلك الأيادي
فياليت اليراع يصير سهما ... كما أبغي ويكتب في فؤادي
سئمت من الحياة بلا حياة ... وضقت من الرشاد بلا رشاد
وكيف يهيم بالدنيا أديب ... تسربل بالسواد على السواد
إذا أكل الطعام فمن تراب ... وإن شرب المياه فمن مداد
كأن الدهر يغضبه صلاحي ... فأفقرني ليرضيه فسادي

وأوجع من هذا أن يقول شاكيا فاقته ناديا مجتمعه الجائر

خلقت بين أناس لا خلاق لهم ... فباعني الفضل في الدنيا بلا ثمن
لولا بقية دين أمسكت خلقي ... لقلت إن إله العرش لم يرني

---

(١) يقول إمام :

يا خليلي وأنت خير خليل ... لا تلم راهبا بغير دليل
أنا ليل وكل حسناء شمس ... فاجتماعي بها من المستحيل

...أو يقول :

وما فتلتني الحادثات وإنما حياة الفتى في غير موطنه قتل
وما أبقت الدنيا لنامن جسومنا على بأسنا ما يستقيم به الظل

وكأن الحظ قد سد أذنيه من قلم إمام فلم يصغ لحظة واحدة ، إلى صرخاته الفاجعة ، وما زال يتقلب على أشواك الحرمان حتى دهمته العلة بعد خمسين عاما من عمره الجديب ، وأحس أنه قريب من الموت فلم يأسف من الحياة على شئ غير يراعه العجيب ، فطالما نفث بمداده السحر ، وشنف بصريره الأسماع ، فطفق يودعه فى حرقة وتلهف ، وينشده الرثاء الباكى الذى ناح به على نفسه ، وهو يكابد العلة القاتلة ، ويصاول الداء الفتاك ، ثم سبحت روحه إلى آفاقها الرحيبة ، بعد أن ردد هذه الزفرات الأخيرة

يراعى ، لقد حان الفراق وربما أراك على العهد المقدس باقيا
لبست عليك الليل حزنا وليتنى لبست على نفسى الحبنة ثانيا
مضت بيميني الحادثات جهالة فلما رأت صبرى مضت بشماليا
وكيف يطيب العيش والدهر مدبر
وفى القلب ما يفرى الحسام اليمانيا

رمل الاسكندرية محمد رجب البيومى

رسالة المربى

أهمية العلوم — المدرسة والمجتمع — المجتمع الدالى ورسالة المربى

للأستاذ كمال السيد درويش

يحتاج التوافق الاجتماعى إلى جانب الإعداد التربوى - الخلق والبدنى - إلى الإعداد العقلى أيضا وذلك عن طريق العلوم فقد كانت ولا تزال من أهم الوسائل التى يستعين بها الإنسان على إشباع حاجته إلى المعرفة وتوفير حاجته إلى الأمن . والعلوم من أهم وسائل الإنسان فى تذليل ما يصادفه من عقبات وبها يستطيع الحياة فى جو مطمئن يساعده على الابتكار والتجديد والتقدم .

ولسنا الآن بسبيل سرد تلك العلوم ولا بسبيل الإشارة إلى أهمية كل منها على انفراد أو الحاجة الإنسانية إليها فذلك كله من الأمور البديهية ، وما على الإنسان إلا أن يفكر قليلا ليدرك مدى الخدمات التى تؤديها مختلف العلوم والتى لولاها لما تقدمت الإنسانية فى طريقها ولما خطت خطواتها السريعة فى سبيل التقدم . وإنما الذى يهمنا الإشارة إليه هو كيفية تدريس هذه العلوم المختلفة بحيث تصبح فعلا مفيدة للانسان ، أى بحيث يستطيع استغلالها واستخدامها كوسائل فعالة ، حية ، نامية ، لا أن تصبح مجرد أدوات لا قيمة لها أو كجثث محنطة لا نفع فيها ولا حياة . وهنا نستطيع أن نتبين أهمية رسالة المربى . إنها تظهرنا على الموقف الذى يجب أن نقفه كربين من تدريس العلوم على اختلافها ؛ من كيفية تعلمها وكيفية تعليمها أيضا . يجب أن يشعر المتعلم بفائدة العلوم التى يتعلمها ؛ يجب أن يشعر أن العلوم وإن كانت قيودا تزيد فى ثروته العلمية وتعاونه على التآلف مع بيئته وتزيد فى قدرته على التعامل معها . وما لم يحدث ذلك فعلا كان المتعلم قد خسر كل شئ ولم يستفد سوى حشو ذهنه بالمعلومات الميتة فلا هو سينتفع من معرفتها ولا سيضيره جهله بها، بل سينفعه تركها والتخلص منها

إن للعلوم جميعها أهمية كبرى فى تحقيق رسالة المربى ، ولعلم النفس من بينها أهمية خاصة لم نشعر بها بعد، لذلك يجب الإشارة إلى الأهمية الكبرى التى اكتسبها . لقد أصبح علم النفس ضرورة من ضرورات المجتمع الحديث ، فبه يمكن حل الكثير من المشاكل الاجتماعية وعلى ضوئه يمكن تفسير السلوك الإنسانى المعقد، وبدون ذلك لا يتيسر للانسان الحياة فى وئام . علم النفس الآن هو طبيب الإنسانية بل خادمها الأول . وهو ينفع المعلم كما ينفع الطبيب وينفع صاحب المصنع كما ينفع العامل . هو علم الإنسان . بل علم النفس الإنسانية ، ولذلك يجب علينا معشر الشرقيين أن نحله مكانه الممتاز بين سائر العلوم

٤٠ ٣٧

ومن بين العلوم التى أخذت تحتل مكانها الممتاز إلى جانب علم النفس بفروعه المختلفة نجد علم الاقتصاد . إن المجتمع الناهض القوى يجب أن يبنى على أسس اقتصادية سليمة، وإلا ذهب الكلام عن إصلاحه وتقدمه أدراج الرياح . وهل يتيسر ذلك إلا بالسير وفق سياسة اقتصادية مرسومة وفق أحدث نظريات الاقتصاد ؟ ! ألم يشترك الكتاب الاقتصاديون مع غيرهم فى تقديم الوقود لإشعال نار الثورة الفرنسية وبناء مجتمع جديد على أنقاض الملكية المتهدمة ؟ !

والكلام عن علم الاقتصاد يقودنا إلى الكلام عن النظم الاقتصادية وما انبنى عليها من مذاهب سياسية يحاول كل منها تنظيم المجتمع أحسن تنظيم . ولقد طبقت هذه النظم فى بعض الدول الأوروبية مثل الروسيا أو ألمانيا أو إنجلترا حيث نجد الشيوعية والاشتراكية والديمقراطية . ولهذه المذاهب — وإن كانت سياسية — مثلها التربوية وفلسفتها التعليمية .. ولذلك لا يمكننا إغفالها دون التحدث عن موقف رسالة المربى منها . إننا ننظر إليها جميعها كوسائل ضمن الوسائل التى نستفيد بها لتحقيق هدفنا التربوى ، فإذا كانت عاملا من عوامل النمو الاجتماعى استخدمناها وإذا سلبتنا حريتنا وشخصيتنا ووقفت عائقا دون تقدمنا تركناها ونبذناها . فليست العبرة لدينا بالأسماء بقدر ما نهتم بحقائق الأشياء . ونحن نقول لأصحابها : « ما هى إلا أسماء سميتموها . »

إن لكل مذهب سياسى ظروفه الخاصة التى أدت إلى ظهوره وانتشاره وبخاصة وله بيئته المحلية التى لا يترعرع إلا فيها ولا يزدهر إلا فى أحضانها . ولكل بيئة تراثها التاريخى فكيف يصلح فى مصر ما يصلح فى إنجلترا أو الروسيا ؟ !

ولماذا لا تكون لنا رسالتنا الخاصة نستمدها من تراثنا القديم والوسيط والحديث ، ومن خبراتنا وتجاربنا، فنحن أدرى بأحوالنا وبما يلزمنا ؛ نقتبس من المذاهب شيوعية كانت أو ديمقراطية أحسن ما فيها مما يتمشى مع مقوماتنا ونخرج من ذلك كله بفلسفتنا الخاصة فتكون لنا أكبر البعث والحياة

وفى ميدان المدرسة يجب أن تتركز جهود المربى لتحقيق رسالته ، ذلك لأن المدرسة تقوم بدور رئيسى فى تربية أفراد المجتمع . وموضوع المدرسة وما يجب أن تكون عليه حتى تنجح فى تحقيق رسالة المربى موضوع قد استحق التأليف فيه من كبار فلاسفة التربية فى الغرب، وسوف نفرد له بحثا خاصا بإذن الله

وكما يجب أن تتجه همة المربى إلى المدرسة يجب أن تتجه إلى سائر الميادين الاجتماعية الأخرى .. إلى السينما والمسرح وإلى الصحافة والإذاعة، فكل ميدان من هذه الميادين يحتاج إلى نفس الإشراف والتوجيه الذى يكفل ضمان نمو الروح الاجتماعية التقدمية بين جميع أفراد المجتمع. يجب أن يقف المربى من إصلاح المجتمع موقفا إيجابيا بشتى الوسائل كإنشاء المراكز الاجتماعية حتى يشع كل منها الروح الاجتماعية فيمن حوله من السكان . حقا إن إنشاء المراكز الاجتماعية بخبرائها وأطبائها وميادينها وملاعبها ومسارحها وصالات محاضراتها كفيل بتوجيه المجتمع الوجهة الصحيحة التى يجب أن يتجه إليها . إن اهتمامنا لا يزال ينصب على المدارس فقط، وهذا خطأ كبير . حقيقة إن المدارس وإن كانت تمد الإنسان فترة كبيرة من حياته إلا أن ذلك ليس معناه الاعتماد عليها فقط، لأن الفرد قبل التحاقه بالمدرسة يكون إلى حد كبير صورة مصغرة للمجتمع المنزلى الذى عاش فيه، ثم هو بعد التحاقه بالمدرسة لا يقطع صلته أبدا سواء بالمنزل أو الشارع ويكون أثناء ذلك شأن كل صحيح البدن عرضة للاصابة بجراثيم الأمراض الاجتماعية المعدية . وهنا تتبين لنا أهمية رسالة المراكز الاجتماعية . عليها مهمة الوقاية والحماية والتأييد والتعضيد . هى الناصح المخلص والمرشد الأمين والطبيب الذى يأخذ بيد المصابين وقبل أن يزمن الداء يقدم إليهم الدواء فالشفاء

ولكن عن أى مجتمع نتحدث ؟! إن المجتمع الذى نقصده ليس المجتمع المصرى أو العراقى أو الشامى أو الإنجليزى ، وإنما هو المجتمع العالمى . . أى المجتمع الذى يضم أفراد العالم جميعا . وما فائدة إصلاح مجتمع محلى مع إهمال سائر المجتمعات؟ أليس هذا

هو سر التعارض بين الأمم وبالتالي سبب قيام الحروب وانهيار كل دولة وتأخرها إلى الوراء . إن من بين الأسباب الرئيسية للحروب بين دول العالم هو اختلاف الإعداد التربوي في دولة ، عنه في الأخرى ، هو في التعصب القومي الأعمى البغيض ، هو في اختلاف الاتجاهات العقلية والخلقية بين الدول، حقا إن الإعداد الاجتماعي كفيل بإيجاد التقارب والتفاهم بين أفراد المجتمع العالمي . إن الأسر على ما بينها من اختلاف تعيش في وئام وسلام داخل حدود الدولة الواحدة، ذلك لأنها تخضع لإعداد اجتماعي واحد يهدف إلى تقوية عوامل الوحدة في الدولة ، فلماذا لا ننظر إلى الدول على أنها أسر صغيرة في المجتمع العالمي ، ونعمل على إيجاد روابط اجتماعية عالمية تؤدي إلى جعل التعاون العالمي حقيقة ملموسة لا حلما في الخيال ؟ ! إن رسالة المربي تنظر إلى الوحدة العالمية كهدف قريب الوصول سهل التحقيق وهي تراها لازمة لها لزوم الروح للحياة . ورسالة المربي بهذا المعنى تحقق نمو المجتمع الإنساني ورقي العالم وبها يتحقق أكبر قسط ممكن من السعادة الذاتية للإنسان

وهذه النظرة العالمية تؤكد لنا حاجة أمم العالم إلى التعاون فيما بينها شأنها في ذلك شأن الإنسان . فكما أن الإنسان مضطر إلى أن يحيا ضمن المجتمع ، فكذلك الدول مضطرة هي الأخرى إلى أن تحيا ضمن المجتمع العالمي . وكما أن كل إنسان ينعزل عن المجتمع يكتب على نفسه الفناء والزوال ، فكذلك كل أمة تبتعد بنفسها عن غيرها من الأمم تكتب على نفسها - بانعزالها وجمودها - الفناء والزوال . وكما يجب أن تسود الروح الاجتماعية بين أفراد المجتمع يجب أن تسود بين دول العالم جميعها . وعلى ضوء هذه النظرة العالمية يجب أن تسود بين دول العالم جميعها ، وعلى ضوء هذه النظارة العالمية يجب أن تتكيف التربية داخل المدرسة وخارجها فيكون هدفها هو العمل على إيجاد التوافق الاجتماعي بمعناه الخاص وبمعناه العام أيضا . ولنضرب لذلك مثلا تدريسنا لعلم التاريخ . هل غرضنا من تدريسه تقديم أداة فعالة تمكن المتعلم من الاندماج مع مجتمعه هو والعمل على رفع شأنه دون الاهتمام بغيره ، والتعصب لوطنه والحط من شأن غيره من الأوطان ؟ ! لو فعلنا ذلك لأغفلنا أهم جانب في رسالة المربي . إن التاريخ بهذه الصورة هو سر التعصب القومي ... هو الزيت المصبوب على حطام العالم لتشتعل فيه الحروب من جديد حتى لا يخمد لها أوار . أما إذا قمنا بتدريس التاريخ على أنه توضيح لما بين الأفراد والمجتمعات من علاقات عدائية أحيانا وسلمية أحيانا أخرى وما كان لهذه وتلك من أثر في تقدم الإنسانية أو تأخرها؛ فإننا في الحقيقة نكون قد سرنا في الطريق التي توصلنا إلى تحقيق رسالة المربي

كمال السيد درويش

ليسانس الآداب بامتياز — دبلوم معهد التربية العالي

مدرس بالرمل الثانوية

٤ — على ضفاف القناة :

زفة أللنبى

للأستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

قد يلفت هـذا العنوان نظر القارئ الكريم ، ويوقعه فى شئ من الحيرة والارتباك ، والعجب والدهشة ، فمن هو (أللنبى) هذا ؟ ! وما قيمة (زفته) هذى حتى يفرد لها حديث خاص فى الرسالة الغراء ؟ ! ولـكن سرعان ما يزول هذا الشعور المزيج من الحيرة والعجب والدهشة والارتباك عند ما يعلم أن (أللنبى) هو المعتمد البريطانى الذى أنزل البـلاء بالمصريين عامة أيام الحرب العالمية الأولى . وأن (زفته) هى عادة أصيلة فى بورسعيد والإسماعيلية ، يدين بها أهل هاتين المدينتين ، ويحرصون عليها كل عام حرصا شديدا

والزائر لإحدى هاتين المدينتين ابتـداء من منتصف شهر فبراير ، يرى نشاطا عجيبا ، ويلفت نظره تماثيل لم يكتمل خلقها بعد ، معلقة على أبواب المنازل ، أو فوق سطوح البيوت غير المرتفعة ، فى الأحياء الوطنية بخاصة ، وفى الأحياء الأفرنجية كذلك حيث تسكن بعض الأسر المصرية . . تماثيل تكتمل خلقا يوما بعد يوم فى نظام رتيب وعمل متصل بلا انقطاع . فوق كل بيت تمثال (خواجة) يبدأ جسمه أولا غفلا من التصوير ، أى بدون رجلين ولا يدين ولا رأس ، ولا تكاد تمضى أيام على تعليقه على الأبواب أو فوق سطوح الدور ، حتى تصنع له الرأس ، ثم تبدو اليدان ، ثم الرجلان ، ثم توضع القبعة فوق الرأس ، ثم توضع فى فمه الكبير (بيبة) يمسكها بيده كأنما يدخن فى نهم وشره ، وصفاقة وبرود . . وكلما مر يوم ازداد هذا الخواجة أناقة ووضحت تقاطيع وجهه ، وظهر فيـه البرود المكسوف الغيث بأجلى صوره ، وأوضح معانيه ، وبعد مدة يصل الفن المصرى (البلدى) إلى رجليه ، فيلبسهما حذاء لامعا ، وقد يمسك فى يده مذبة (منشة) وقد يكون واقفا مستندا إلى خشبة خلفه أو بجانبه لئلا يسقط هنا أو هناك ، وقد يكون جالسا على كرسى يصنع خصيصا لهذا الغرض ، بحيث يضع رجلا على رجل ، فينبعج كرشه ، ويصبح مثال الصلف الوقح ، والبرود الحقير . .

وتـكون هذه التماثيل فى القالب فى حجم الإنسان الطبيعى الذى يميل إلى النحافة قليـلا ، حتى إذا جاء يوم شم النسيم تكون هـذه التماثيل قد اكتملت خلقا وزينة ، وظهرت معالمها ، وبرزت خصائصها ، لأن هناك مجالا واسعا للتفاخر والتباهى بين الأهلين ، فمن كان تمثاله أكبر وأضخم ، وأدق وأنغم ، وأظهر وأعظم ، كان بالوطنية أجدر ، وبطعن الأجنبى الغاصب أحق وأولى ، واستحق بذلك تقدير زملائه وجيرانه ، وتهنئة أهله وأحبابه وخلانه ، ونال الشرف الذى ليس من السهل أن يناله إنسان ، أو يحصل عليه مخلوق كائنا ما كان . !

أما من أى شئ تصنع تماثيل هؤلاء (الخواجات) فهـذا موضع العجب والدهشة ، أو بمعنى أدق هو الوطنية الحقة ، الكامنة فى نفوس هذا الشعب المصرى العجيب الذى لا تزيده الحوادث مهما اشتدت ، والخطوب مهما ادلهمت ، إلا شدة وقوة ، وصرامة ووطنية . . إن هـذه التماثيل تصنع من القماش الرخيص أو الملابس القـديمة . وتحشى بأقذر ما فى البيوت من ثياب رثة . وملابس مهلهلة ، وجميع ما يستغنى عنه الكبير والصغير من أحذية وغيرها ، لتحمل معنى الإهانة الصارخة ، والسخرية اللاذعة ، والاحتقار الشائن ، والثورة الحانقة . .

ولا يكاد ينبلج الضوء صبيحة يوم شم النسيم من كل عام ، حتى تحمل هذه التماثيل على عربات صغيرة من عربات اليد ، وتدفع إلى الأمام فى إهانة بالغة ، واحتقار كبير . . وبعض الأهلين يفتنون فى ذلك ، فيحملونها على (نعش) ويسيرون بها فى هيئة جناز ، إلا أنه غير صامت ، بل صاخب ثائر ، حيث يردد الكبير والصغير هذه العبارات التقليدية اللاذعة : « يا أللنبى يا بن حلنبوحة . . ؟ . . أملك ، ملاّنه ملوحة » ويصاحب ذلك الترديد تصفيق منتظم حاد ، يشيع فى الجو لونا رهيبا من ألوان الثأر المكبوت ، والعاطفة المكفوفة التى يفرج عنها هذا المرح والصخب والتشفى ، ولا تزال هذه الزفة الصاخبة الحادة ، تخرج

من كل بيت ، وتتلاق هنا وهناك ، طائفة بالشوارع الكبيرة والصغيرة ، حتى تصل إلى كل رجا من أرجاء المدينة . فإذا انتهى الأهلون من هذه الزفة ، ألقوا بما يحملون من تماثيل ، في إهانة صارخة ، وثورة جامحة ، وأشعلوا فيها النيران التي تندلع ألسنتها في وحشية وجبروت طاغ ، ، يذهب بتماثيل الشر الماحق ، ويمحو آثار الطغيان والضلال المبين إلى أعماق الجحيم ..!!

* * *

ومرجع هذه الزفة كما أعتقد إلى فكرة وطنية متمكنه، وعقيدة عدائية خالصة ، نحو الإنجليز العدو الأول لمصر والمصريين . . ذلك أن اللورد اللنبي كان مندوباً سامياً في مصر أيام الحرب العالمية الأولى ، وكان هذا الداهية سوط عذاب على المصريين جميعا ، وبخاصة على العمال المصريين ، وكان عنوان الصلف الإنجليزي ، والطغيان المروع ، وتجلى ذلك العداء الصارخ في وضوح وجلاء ، حينما ساق العمال المصريين سوق الأنعام إلى بلاد الشام ، حيث عاملهم كما تعامل السائمة ، لقتال الترك والألمان .

والمصريون في ذلك الحين يحنون حنينا كبيرا عجيبا إلى الأتراك ، ومرجع ذلك الحنين البالغ إلى الصلة الدينية التي تجمع بينهما . . صلة الإسلام التي جمعت بينهما وأدت إلى المصاهرة ، حتى لا يكاد يخلو حي من أحياء القاهرة ، ولا مدينة من مدن القطر من أسر تركية ، أو أسر مصرية تنحدر من أصل تركي ، حيث كانت مصاهرة الأتراك في ذلك الوقت من دلائل العظمة ، وعنوان التقدم والرقي ، وعراقة الأصل ، وطيب المحتد . وقد كان الترك كذلك إلى عهد قريب زعماء المسلمين ، وقبلة الأنظار في يوم ما ، فيهم الخلافة ظل الله في الأرض، وإليهم تتجه القلوب في أرجاء العالم الإسلامي بأسره ، ونواحي الوجود بعامة ..

ثم هم — أعني المصريين — يحترمون الألمان ، ويحبونهم بالغ الحب ، ويرون فيهم مظهراً من مظاهر الرجولة الكاملة ، والاستقامة الراشدة ، والجد الصارم ، والعزم الحازم ، كما يرون فيهم صورة حية من صور العبقرية الملهمة ، وأنهم أئمة العلم والاختراع في القرن العشرين بلا مراء ، ويعتقدون أنهم في حربهم مع الإنجليز وحلفائهم ، إنما يحاولون القضاء على الخطر الاستعماري الأكبر ، رمز الظلم والعدوان ، والغدر والغش ، والبرود السكسوني اللعين ، وكيف كانوا يستولون على بضاعة الألمان ، ثم يضعون عليها علامات تجارية إنجليزية ، ويبيعونها على أنها إنتاج إنجليزي بأغلى الأثمان وأفدح الأسعار ، ولا يبالون بما يفتضح من أمرهم في السوق المصري بخاصة .. !

ولهذا كان من العسير على نفوس العمال من المصريين أن يساقوا سوق السائمة لحرب من يحبون ، وقتال من إليهم يميلون، وإذا كانت الدعاية المارقة قد استغلت مظاهر الحزن والنقمة ، حين يجند أبناء المصريين ، وجعلت من هذا الحزن والصوت المتعالي دليلا على عدم الوطنية المصرية ، والفرار من ميادين القتال، وأن أمة هذا شأنها لا تستحق الحياة بين غيرها من الأمم عزيزة مرهوبة الجانب ، بل تستحق حماية غيرها من الدول القادرة الناهضة ، حتى تنهض على ساقين ، وتفهم حقيقة الأمور كما يجب أن تفهم .. أقول إذا كانت الدعاية الإنجليزية المغرضة قد استغلت ذلك ، فإنما هو استغلال سيئ لأغراض سافلة ، والمصريون معذورون في نقمتهم على ذلك التجنيد الذي لم يكن في سبيل مصر والمصريين، وإنما كان لخير الإمبراطورية العجوز الشوهاء ، التي تربط مصر والمصريين بعجلتها ، وتدفع بالعمال والجنود المصريين إلى أتون الحرب المستعرة ، حيث تلتهمهم خطوط النار الأولى ، وتقضي عليهم القضاء الأخير ..

وإن هؤلاء الإنجليز لا يجهلون وطنية المصريين ، ولكنهم يتجاهلونها ، ويشيعون عنهم في المحافل الدولية غير الحق والواقع، ولو أنصف هؤلاء الطغاة لأنصفوا هذا الشعب الذي يغدر العاملين ..!!

هذا هو اللورد اللنبي الذي جند من المصريين جيشا يحارب على غير رغبته الأتراك والألمان ، وكانت أكثر المناطق المصرية تضحية بأبنائها وبنيها هي مدن القناة دون ريب ، ولطالما فجع أهلوها بفقد من ذهب إلى الميدان .. ومن الغريب أن الظروف ساعدت هذه الدولة العجوز ، حيث قامت الثورات في ألمانيا فاضطر الألمان إلى الانسحاب ، خشية تفاقم الخطر .. وقد انتهز اللنبي هذه الفرصة . فخرج على رأس جيش لقتال الألمان والأتراك في الشام ، وادعى أنه هزمهم وطردهم وتعقبهم ، بينما الظروف وحدها هي التي دفعتهم إلى العودة والرحيل ..!!

الحرب الاقتصادية أضر

لندع الألسنة التي لاهي مصرية ولا عربية تدور في أشداقها تشيد بقوة الإنجليز وضرورة بسط سلطانهم على هـذا الشرق المنكوب بالجهل والفقر والمرض

لندع أصحاب تلك الألسنة الذين لاهم مسلمون ولا شرقيون ، يثرثرون في مجالسهم يجرحون الوعي القوي في هذا الشرق الناهض ، ويلطخون أخلاق قومه بكل شائن مزري معيب

لندع الحثالة الآكلة تنهش صدورهم ، لأن في نهضة الشرق ، ووعي قومه ، وقيامهم دفعة واحدة يدفعون عن عواتقهم أضرار الاستعمار وصلف المستعمرين وأذاهم تكذيبا صريحا للتقارير التي يرفعونها إلى سادتهم المستعمرين عن موات الشرقيين وسدورهم في اللذات والشهوات وإنكارهم الوطن والوطنية

لندع جانبا أصحاب تلك الألسنة المأجورة والضمائر المسخرة لأنها صارت قاب قوسين أو أدنى من القبر ، ولأنها الحثالة الراسبة ، والنفاية المرذولة ، والبقية الباقية من جيل لا رده الله عاش بنوه في ذل الاستعمار ، وفقدان الثقة بالنفس ، وفي جماعة ليسوا من الإسلام والشرقية والعروبة في شيء ، وإنما هم مخاليق ضمائرهم خربة ، لا دين لهم إلا الجنيه ولا غاية لهم سوى الجنيه

لندع هـذه الحفنة من الرجال الفانين ينفثون سمومهم في محيطهم الضيق ، لأن الأمم في نهضاتها لا تستمع إلى حشرجات المرضى ، ونزع الموتى ، ولننظر فيما يجب علينا عمله إزاء موقفنا الراهن

صحيح أن الحكومة درست أو هي تدرس ، ووضعت أو هي تضع خططا لمحاربة أعدائنا ومحتلي بلادنا ، ولكن الواجب يقضي بمعاونة الحكومة في إبداء الرأي الذي قد يكون غرب عن بالها ، ولذلك أقترح أن نكون عمليين في حربنا أي نسعى إلى كسب كل معركة نخوضها بعد درس وتدبر

الاستعمار والانتداب والاحتلال إنما هي أسماء مترادفة لمعنى « الكسب المالي » ؛ والإنجليز إنما هم تجار قبل كل شيء ، وأن حكوماتهم وأساطيلهم وسلطانهم رهن خدمة التاجر صاحب المعمل أو المصنع ، فما ضرنا لو سوينا قذائفنا إلى صدر هذا التاجر الإنجليزي وعرقلنا دواليب مصنعه عن الدوران وعطلنا أيدي العمال عن الحركة ؟

المسألة بسيطة جدا ، وإن تنفيذها ليتوقف على معيار وطنية التاجر المصري ، وعلى إيمانه بحق بلاده وقومه في الحياة المستقلة ، وعلى رغبته الصادقة في محاربة الاستعمار والانتصار على المستعمر ، فإذا توفرت الرغبة وجاش الإيمان والوطنية في صدر التاجر المصري ، فما عليه إلا إبلاغ التاجر الإنجليزي أو الوسيط « القومسيونجي » إلغاء جميع ما طلب من بضائع وإيقاف تصديرها

وزيادة في الإيضاح أقول : إن التاجر المصري الذي يستورد بضاعته من إنجلترا واحد من اثنين :

الأول يستورد من صاحب المعمل رأسا بغير وسيط

والثاني يشتري أو يوصي على طلبه بواسطة « القومسيونجي »

وإذا كان ألنبي قد فجع كل بيت مصري في عائله أو أحد أفراده ، فإنه هو الذي سيطر على الحياة السياسية المصرية حينا من الزمن ، ولا يجهل أي مصري أن ألنبي هو الذي منع الملك فؤاد عليه رحمة الله أن يلقب بملك مصر والسودان ، ضنا بإتحاد أبناء الوادي أن يتخذ له كيانا تترتب عليه نتائج لا يرضى عنها الإنجليز ، وحرصا على تفريق الكلمة ، وتوزيع الجهود . .

وأما بعد : فقد آن الأوان لأن يحطم المصريون هؤلاء الإنجليز ، ويقضوا عليهم القضاء الأخير ، ويتخلصوا نهائيا من هذه التماثيل . . تماثيل الشر والفساد ، ليتخلص الوطن من أعتى أعدائه ، ويتنفس الجميع في جو من الحرية والاستقلال . .

عبد الحفيظ أبو السعود
المدرس بالمدارس الثانوية الأميرية



من الشعر الرمزي :

أفعـــوان . . . !

للأستاذ أحمد عبد اللطيف بدر

« من وحي : هبي يا رياح الخريف هبي لشيخ الكتاب الأستاذ أحمد حسن الزيات بك »

يلتوي والسم يسري في دمائه　　« أفعوان » داؤه يشفي بدائه !
يبعث الشر الذي فيه اصطلى　　كل خير ، وانثنى بعد اصطلائه
إنه الخداع .. يمشي .. معجبا　　في خداع مطلو طي .. ردائه !
عاش يشقى قلبه من حقده　　ما شفاء القلب إلا في شقائه .
سار يمشي في ضلال غامض　　ليس في الدنيا سبيل لاهتدائه
أي أمر يرتجيه ... ذاهب　　حقده .. فيه مزيل .. لرجائه !
يحسب الأقدار .. في قدرته　　والقضاء الفصل آت من قضائه !

• • •

« أفعوان » « زاحف » تحت الثرى　　سوف يبقى فيه رمزا لفنائه
غادر لا ينثني عن غدره .　　يلبس التمزيز ثوباً من ريائه !
أي شيء يبتغيه ... عندنا　　غير بغي ينطوي تحت ابتغائه !؟
مخلف في وعده مستضعف　　مسرف عند « التقاضي » في جفائه
يدعي دعوى وفاء خالص　　وانتكاث العهد يحكي عن وفائه !

أحمد عبد اللطيف بدر

معلوم أن معظم رجال القومسيون إما من الغربيين وقد أبدوا لرئيس الحكومة عطفهم على قضيتنا ، وإما من المتمصرين وهؤلاء لا شك في معاونتهم إيانا وشد أزرنا في حربنا ، فما ضر هؤلاء أن يتحدوا مع التاجر المصري فيبلغوا التاجر أو صاحب المعمل الإنجليزي إلغاء جميع الطلبات وإبطال جميع الصفقات وإيقاف جميع التوصيات التي قامت بين التاجر المصري والتاجر الإنجليزي؟

لمثل هذا الاقتراح سوابق كثيرة في أسواق التجارة ، ولا معنى مطلقا للقول . بأن « التجارة حرة » في موقف مثل موقفنا من الإنجليز اليوم ، ولا اعتراض ألبتة على الغرف التجارية إذا توسطت في إقناع الوسطاء « القومسيونجية » ليقفوا إلى جانب التاجر المصري المحارب في سوق الاقتصاد ، ولا ملامة على وزارة التجارة إذا ضغطت على التجار والقومسيونجية وأجبرتهم إجبارا على إلغاء طلباتهم من البيوتات الإنجليزية

إن إلغاء طلباتنا من إنجلترا لا يصيب تجار التجارة الإنجليزية بخسارة تقدر بخمسين مليونا من الجنيهات فقط ، بل يكسب مصر ضجر التاجر الإنجليزي وصخبه وتحامله على حكومته لأنها أقفلت أبواب سوق من أسواقها الغنية في وجه تجارتها

ومعلوم أيضا أن الإنجليزي في بلاده يقتر في معيشته كل التقتير ، ويعيش على الكفاف تلبية لطلب حكومته الراغبة في استرداد مكانتها في سوق المال ؛ فكيف يكون حاله إذا صفعته مصر بإلغاء طلبات تجارها وهي تقدر بعشرات الملايين ؟ لا شك عندي في أن مصر ستجني من وراء هذه الخطوة الاقتصادية المشروعة تبرم التجار الإنجليز الذين يتململون من تعطل معاملهم وكساد تجارتهم والذين سيحدون ولا شك من جموح الرجال العسكريين ومن غطرسة رجال السياسة

إن معركة واحدة نربحها في سوق الاقتصاد لهي عند الإنجليز أشد وأنكى من خسارة موقعة كموقعة دنكرك .. ولي عودة إلى هذا الموضوع

تاجر

تذكـــري

للأستاذ إبراهيم محمد نجا

تذكري أن ربيع الهوى ... مر عليه من جفاك الخريف
وأن زهر الحب لما ذوى ... جملت أرويه بدمعي الذريف
وأن عمري في هواك انطوى ... كما انطوى في القيظ ظل وريف
ولم يعد لي من غرامي سوى ... نار من الذكرى .. بقلب لهيف

• • •

تذكري أنك أنت التي ... دعوتني للحب يا ساحره
جئت واللهفة في مهجتي ... وملء عيني الرؤى الباهره
حتى إذا أوشكت يا جنتي ... أستاف أزهار الهوى الناضره
غدرت بي ! أواه من لوعتي ... وآه من غدرك .. يا غادره

• • •

تذكري قلبي ، ربيب الألم ... وابن الأماني الخرد الراتمه
تذكري شعري، وشعري نغم ... أرسلته من روحي الضارعه
كم ناح بالأشعار قلبي ، فلم ... ترحم أساه روحك الخادعه
لو عرفت روحك لذع الندم ... أعدت لي أحلامي الضائعه

• • •

لكن غنيت الذي تشتهين ... من وقدة الحس ، ونار الجسد
وحين حادت بهوانا السفين ... عن مرفأ النار التي تتقد
نأيت عن قلبي الوفي الأمين ... سعيا وراء اللهب المفتقد
هذا هو السر الخفي الدفين ... سر افتراقي عنك حتى الأبد

• • •

أردتني نارا ، وحبي وقود ... فكنت نورا ، وغرامي شعاع
وشئتني جسما أسير القيود ... فكنت روحا كالأثير المشاع
لو عشت بالروح وراء الحدود ... هناك إذ يخبو لهيب الصراع
إذن لتلنا في هوانا الخلود ... وما فقدنا فيه .. حتى الوداع !

• • •

مخدوعة أنت وسر الجمال ... فيما تريدين ، وما تعشقين
لو أبصرت روحك سر الوصال ... وانكشف الغيب الذي تجهلين
رأيت شيئا قد كساه الخيال ... عن الأماني وهو شيء مهين !
لو مزق النور رداء الظلال ... لبان ما لا ينبغي أن يبين

• • •

روحك ما زالت تريد الضياء ... لأنها من نبعه آتيه
فلا تروضيها على الأزواء ... في حجرة مغلقة داجيه
وأطلقيها في رحاب الفضاء ... تصعد إلى قمته العاليه
هناك تحيا في نعيم الصفاء ... وراء تلك اللذة الفانيه

• • •

تذكري أن ربيع الشباب ... غدا سيطويه خريف المشيب
فتهدأ النار هدوء العباب ... إذا تهادى فيه سحر المغيب
وتبحث الروح قبيل الذهاب ... عما لديها من ضياء حبيب
أطفأ نور الروح عصف التراب ... إذن فعيشي في الظلام الرهيب

• • •

تذكري أيتها الهاربة ... أنا غدا قد نلتقي في طريق
فتنزوي من شمسك الغاربه ... شمسي التي ما زال فيها بريق
ويذكر القلب الليالي الذاهبه ... مع الليالي في الزمان العميق
أحرقتها في نزوة صاخبه ... ولم أنل .. حتى رماد الحريق !

• • •

تذكري أنك قد تندمين ... يا من تناسيت الهوى والحنان
وحينما تكويك نار الحنين ... إلى زمان قد طواه الزمان
سوف تعودين وتسترحمين ... قلب الذي لم ينس طعم الهوان
فيهتف القلب : ألا تعلمين ؟ ... لقد مضى الوقت، وفات الأوان !

إبراهيم محمد نجا

سمـــراء

للأستاذ محمد محمود عماد

سمراء كالعصفور حيرى ... قد غازلتها الشمس جهرا
لما تعرت عن ضيا ... ء ، للضياء ، تريد بحرا

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

رسالة من الهند :

أنا يا سيدى واحد من المعجبين بك ، وإنى لأخشى أن يخذلنى القلم إذا ما حاولت أن أعبر عن هذا الإعجاب الذى أخذ يشتد على مر الزمن وينمو فى نفسى ويترعرع . وهل فى ذلك غرابة وأنت الذى تتحفنا على صفحات الرسالة بين حين وآخر بروائع من الأدب العربى الحديث ؟

وكيف نستطيع أن ننسى « التعقيبات » التى تشرف بها — كما أعتقد — من ربوة عالية على ما يستجد فى الأدب العربى ، وتزنه بموازين عادلة وتميز بين غثه وسمينه ! إننى لأبارك فيك روحك الوثابة ياسيدى ، وأسأل الله أن يكثر من أمثالك فى هذا الجيل العربى الحديث !

إن « الرسالة » الغراء هى مدرستى الأولى التى استطعت بفضلها العميم أن أتفهم الأدب الخالد وأتذوق روائعه وأنا فى هذا البلد الأجنبى . . وبفضل « الرسالة » استطعت أيضا أن أكتب مقالات متنوعة وقصصا قصيرة . ولما لم يكن لى حظ من التعليم العربى العالى ولم أتخرج على أيدى أساتذة عرب ، فإنى لم أجد فى نفسى الشجاعة الكافية لكي أنشر تلك المقالات التى كتبتها ، بل ظلت حبيسة فى الأوراق المتناثرة بين ثنايا مكتبى هنا وهناك ، حتى خطر لى أن أوسل شيئا منها إليك لأعرف قيمته وأطلع على رأيك الحكيم فيه . وسوف تجد ضمن هذه الرسالة مقالا تحت عنوان « العالم المرئى » ، فإذا رأيت أنه صالح للنشر على صفحات « الرسالة » فافعل ، وإلا فأرجو أن تطلعنى على رأيك فى المقال وماذا ينقصه ليكون صالحا للنشر !

وإننى إذ أختتم هذه الكلمة أتوسل إليك أن تسدى إلى من نصائحك الغالية على صفحات « الرسالة » ، ما يعيننى على تحسين كتابتى لأننى لم أتخط العشرين ، ولا يزال أمامى متسع من الوقت لكى أحاول إصلاح كتابتى وجعل موادها مقبولة لدى الأوساط الأدبية . . ولك منى خالص الشكر وأصدق التمنيات

« بومباى — الهند » أحمد على عويس

شاب لم يتخط العشرين من عمره ، يعيش فى بلد غريب ، ويتلقى دروس الأدب والفن عن مدرسة « الرسالة » .. ومن قال إن المدارس والجامعات تخرج الأدباء وتصنع المثقفين ؟ ! ما أكثر الأدباء الذين صنعوا أنفسهم بأنفسهم وما أكثر الذين استمدوا الثقافة من جهودهم الذاتية . . ومن هنا كان سرورى الذى لا يحد وأنا أقرأ هذه الرسالة فألمح وثبات الطموح تطالع عينى من وراء السطور !

إن الطموح وحده كفيل بتحقيق الهدف وبلوغ الغاية فى كل ميدان من ميادين النشاط الإنسانى .. كفيل بأن يجعل من

جاءت إلى كما يجـ ـىء الحلم فى ساعات إسرا
أو كالمسـ ـىء زفت إلـ ـى على جناح يوم بشرى
وسألتها : ما بال شقـ ـرائى بدت للعين سمرا
اللون غير اللون لـ ـكن ما يزال السحر سحرا
خمرية الخدين إنـ ـى منهما وفيت سكرا
سكران بالعينين ما بالى إذا جرعت خمرا
وتسلطت فتركت فـو ق ذراعها المكشوف سرا
وشوشته ، فأسر لى : ماقد سمعت ، فهات أخرى !

* * *

ماذا ترى أختار من لونيك إنى حرت أمرا
كونى لى السمراء أو كونى إذا ما شئت شقرا
أفنيتـ ـى فى حالتيـ ـك عن الحسان الشيد طرا

محمد محمود عماد

الخطوة المتعثرة وثبة بعيدة المدى على مر الزمن ومضى الأيام !
ولهذا أحب أن أطمئن الأديب الفاضل على مستقبله الأدبي ، مادام الطموح هو الرائد الأول الذي يأخذ بيده ويسدد خطاه ويهديه إلى معالم الطريق . . ولا يزال أمامه متسع من الوقت كما يقول ، ليبلغ في ميدان الأدب هدفه المرجو وغايته المنشودة ، وليحقق لنفسه ما يتطلع إليه أمثاله من الطامحين !

وإذا كان الأديب الفاضل يسألني شيئاً من النصح أو شيئاً من التوجيه ، فإنني أحب له أن يكثر من القراءة في الأدب العربي قديمه وحديثه ، وأن يتزود من الثقافة الغربية ما شاء له التزود والاطلاع .. أما الأدب العربي فجدير بأن يصقل من قلمه أداة التعبير ، وأما الأدب الغربي فخليق بأن يلهب في نفسه شعلة التفكير ، وكلا السلاحين من ألزم الأمور لكل أديب يريد أن يقتحم المعركة وهو ثابت القدم مطمئن إلى النهاية !

هذا هو ما أنصح به الأديب الفاضل على صفحات « الرسالة » أما بقية النصائح فسأبعث بها إليه في رسالة خاصة ، بعد أن يطلعني على نماذج من آثاره الفنية في محيط أدب القصة القصيرة .. عندئذ أستطيع أن أوافيه برأيي حول ما ينقصه من وسائل الأداء الفني ، حتى يستطيع مع الجهد والمثابرة أن يبلغ مرحلة النضج والأصالة ، ويواجه مشكلة النشر وقد اكتملت بين يديه الأدوات ، ولست بذلك أريد أن أثبط من عزيمته أو أحد من طموحه ، وإنما أريد له أن يبدأ حياته الأدبية وهو واثق من نفسه مطمئن إلى مصيره ، وإن مقاله الذي بعث به إلي ليضع البذرة الأولى في تربة الأمل المرجو إن شاء الله !

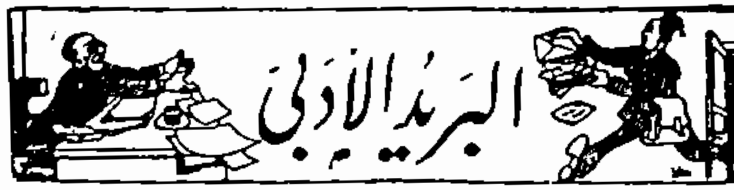
معالي وزير المعارف وقضية الأدباء :

من حق وزير المعارف علي أن أشكره . . لقد تفضل معاليه فأمر بنقل الأستاذ السيد أحمد صقر من مدرسة كوم امبو الابتدائية بالصعيد ، إلى مدرسة الأمير فاروق الثانوية بالقاهرة . ولقد صدر هذا الأمر عقب ظهور عدد « الرسالة » الذي أثرت على صفحاته مشكلة الأديب الصديق ، فكان لذلك وقعه الجميل على نفسي ونفوس الأدباء ! هذا حق ، ومن الحق أيضاً أن أقول إن معالي الوزير قد حل مشكلة هذا الأديب حلا جزئياً لا يرضى العدالة المطلقة التي أنتظرها من رجل مثله ! رجل يفهم حق الفهم واجب الدولة نحو الأدب ، ويدرك كل الإدراك أثر وضع الأدباء في أماكنهم ليقوموا بواجبهم نحو الدولة !

إننا نريد أن يوضع كل أديب في مكانه ، حتى نتيح للمواهب أن تحلق في جوها الطبيعي وتعمل في ميدانها الأصيل .. وأنا أعرف أن معالي الدكتور طه حسين باشا يعطف كل العطف على التراث العربي القديم ، وألمس أن نشر هذا التراث نشراً علمياً سليماً يحفظ له هيبته من أثر المتطفلين عليه ، جدير بأن يحتل من نفسه كل عناية وتقدير . . ولهذا طالبت وما زلت أطالب ، بأن يأخذ الأستاذ صقر مكانه في تلك الإدارة التي أنشئت لهذا الغرض بوزارة المعارف ، ثم أغلقت منها الأبواب في انتظار الطارقين ! وإذا شاء وزير المعارف أن يقبل مني رجاء اليوم ورجاء الأمس ، فإني أؤكد لمعاليه أن وزارة المعارف لن تخسر شيئاً حين يحذف اسم هذا الأديب من قوائم التعليم ، لأنها ستكسب كثيراً حين تنتفع بجهوده في خدمة التراث العربي القديم !!

وليست المشكلة هي مشكلة الأستاذ صقر وحده ، فلا يزال هناك أدباء ينتظرون عطف وزير المعارف على حقوقهم المهضومة .. وإنه ليسعدني أن يتفضل معاليه فيطلب إلي أن أقدم إليه أسماءهم وأن أقص عليه أنباءهم ، لأنني لا أحب أن يكون هناك أديب واحد يشعر أنه مظلوم في عهد طه حسين !!

أنور المعداوي



أوهام الخاملين !

يرزأ السباق برزيئة المتخلفين، ويصاب اللامع بشمة أوهام الخاملين؛ فيرى العجائب شاهدة على فساد الطوية، وسوء النية، وقبح السجية، لكنه ينصرف إلى أناة حلمه، وتؤدة حكمته، وزنة تجربته؛ ثم يحتمل النضاضة بالإغضاء، ويقوى سخرية التجاهل بالكتمان وعدم الإفضاء!

إن الخاملين تمزيهم في نكبة التخلف والخمول أوهام باطلة، يصور لهم ظلامها رعونة الحقد في مأتى المكيدة، وإعمال الحول الضعيف باستعمال اتضاع الحيلة!

ترى القماءة لا تقدير معه؛ فهو إما ذيل أو إمعة، إذا انفتحت الأفواه فتح فاه، وإذا أهل الأمر الأجل أعرض عنه وأعطى له عرض قفاه!

إن الخمول داء وبيل، يمرض مضناه بأساه، وحسرته، ولوعته إلى الحقد الأصيل

كم مجد لا حق بجده جده، حتى استوى أمره، وبلغ مجده؟

وكم خامل قعدت به همته؛ ثم نشطت حتى قوت غضبه وحقده؟

الحياة واد تضرب فيه نفوس الأحياء، وما يقر اضطرابها سوى فطنة الأريب الذي يطل من عليــــاء حقيقته ليطارد أوهام الخاملين

لقد جاءني صاحبي يتهالك على إحساسه المرهف، وقد اكتنفت نفسه مشاعر السخط على من «وضعه» الزمن معهم في قرن واحد؛ فهو يرى شرارات الحقد تكاد تحرق أهداب العيون، والتفاهات تزيف كيانه في وهم الظنون

قلت: ياصاحبي. إن من يتحاشاك يرهبك؛ فهو يعرف قدرك في قرارة نفسه؛ ثم ينكرها بمهارة حسه؛ وكلما ألمت بك نكبة من نكبات المتفوق عملت على تجاهلها لأنها صنيعة الخمول

كن حيث شئت، ليكون لك المجد حيث يشاء.

بور سعيد — **أحمد عبد اللطيف بدر**

من الأستاذ ميخائيل نعيمة الى صاحب الأعماق:

سلام عليك، وبعد فقد كان أول عهدي بك يوم أطلعني أحدهم على الكلمة السخية التي توجت بها فصلا نقلته الى المصري من كتابي «جبران خليل جبران»، وتكرر من بعدها وقوع اسمك في سمعي من غير أن أعثر على شيء من نتاج قلمك، الى أن جمعتني الظروف في أواخر هذا الصيف بصديقنا محيي الدين رضا وإذا به يسلمني النسخة التي تلطفت باهدائها الى من كتابك الأعماق، واذا بي، وقد طالعت «أعماقك» أخرج منها بأكثر من درة، وأنفسها أنت

قيل من زمان — والقول حق — إن الكتاب ينم عن كاتبه، وقد تبينتك من فصول كتابك أديبا بالطبع لابالتطبع، فرشاقة في العبارة، وصفاء في اللغة، وبراعة في وصف الظواهر، ودقة في تحليل البواطن، ونزعة قوية الى الابتكار في الأسلوب والموضوع، وذوق لطيف في مزاوجة الأفكار، وتلوين الرسوم، وعرض المشاهد، وتوزيع النبرات، والسكنات والظلال والأنوار دون ما إسراف في المادة أو تبذل في المرمى

والذي استهواني في قصصك بنوع أخص هو روحك الإنساني المهيمن عليها، وحماستك للغاية التي من أجلها تكتب، وإيمانك بقدرة القلم على تقويم ما اعوج من مسالك الناس، ثم لباقتك في عرض ما بلى ورث من عاداتهم ومعتقداتهم عرضا لا يشتم منه القارئ لجاجة «المصلح» ولا ادعائه بأنه أشرف طينة من الذين يريد إصلاحهم فأنت تكتب لبيئتك لا تتنكر لها ولا تجلدها بالسياط، بل عاشيتها كواحد منها؛ ولكنك إذ عاشيتها تحاول الانحراف بها عن طرقها القديمة الى طرق جديدة من غير أن تثير شكها وعنادها. أنت تكتب للناس حبا لهم لا سخطا عليهم، ولا شماتة بضعفهم

من كانت تلك عدته للكتابة كان لنفسه خير محاسب وموجه، وكان في غنى عن نقد الناقدين؛ وتوجيه الموجهين؛ ثم كان في مأمن من الآفة الكبرى التي تفتك بالكتابة في الكتاب الناشئين

وهي الغرور . . . فسر يا أخي في طريقك ، وليكن الحق هاديا لقلمك

ميخائيل نعيمة

توضيح :

تحية من عند الله مباركة طيبة

وبعد فقد كنت أمليت على الأستاذ الصديق أحمد مصطفى حافظ مقالا بعنوان « أدبنا القوي » ومقالا آخر بعنوان « مع شوقي الخالد » ، وآخر بعنوان « أعلام السويس » . .

وتفضلت « الرسالة » — مشكورة بنشر المقالين الأولين . . ولكني لسوء الحظ ، لم يقدر لي الاطلاع على هذين المقالين ، بعد نشرهما ، إلا منذ يوم واحد فقط . ! وذلك لأنني كنت ، ولا زلت ، مشغولا بالطب لمرض الانفصال الشبكي بعيني . . وإن الذي دفعني إلى الكتابة الآن يتلخص في أنني حين اطلاعي على مقال « أدبنا القوي » استوقفني به شيء لم أرض عنه . . وذلك أن الأستاذ الصديق أحمد حافظ قد سمح لنفسه بأن ينسب إلى الشعر الذي ورد بهذا المقال ، برغم أنه ليس من مقولي ، بل من مقوله هو . . وبرغم أنني حين أمليته المقال أوردت الشعر منسوبا إليه هو . . إلا أنه حكم فيما بينه وبين نفسه على أن « يخرج » المقال بالصورة التي نشر بها . . وفي ذلك مجانبة للحق والصدق . . ومن ثم احتاج الأمر إلى توضيح وتصحيح . . واستحلفكم بالله أن تنشروا هذه الكلمة ، لتمكيني من القيام بواجبات الصدق والحق والأمانة العلمية . . وبخاصة وقد فعلها الأخ أحمد حافظ لكي يهرب من تبعة نشره مداعبة لصديقه الذي ألهمه قول هذا الشعر الظريف « على قفاي » . ! إذ يوهمه أنني قائل هذا الشعر في الحقيقة . . وليس هو . . بينما العكس هو الصحيح

السويس مصيلحي كامل عزمي

وقفة عند بيت شعر :

بينما كنت أتصفح مجلة الرسالة الغراء العدد « ٩٥٥ » لفت نظري بيت شعر في مقال للأديب الفاضل محمد محمود زيتون عنوانه « أصحاب المعالي » ذكر الكاتب أن البيت :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

قاله شاعر في رثاء الأحنف بن قيس . والحقيقة — فيما أعلم — أن قائل هذا البيت الشاعر « عبدة بن الطبيب » قاله في رثاء قيس بن عاصم المنقري وليس في رثاء الأحنف كما ذكر الأديب . ويشهد بهذا صدر البيت لأن فيه قيسا وليس الأحنف ، ويرشد لذلك أيضا بيتان قبل هذا البيت هما :

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء أن يترحما

تحية من غادرته غرض الردى اذا زاد من شحط بلادك سلما

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

وللأستاذ تحياتي وإكرامي

أم درمان : المعهد العلمي محمد الأمين صبير

الفيروز أبادي :

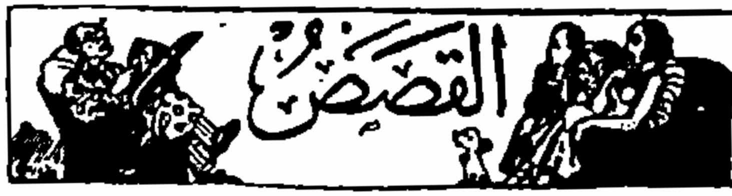
في كلمة الأستاذ النجار في عدد « الرسالة » ٩٥٧ وردت نسبة (الفيروز أبادي) بالدال المهملة ، والصواب بالذال المعجمة كما في معجم (اللباب في الأنساب لابن الأثير) المطبوع بمصر . وضبطها بقول : بكسر الفاء وسكون الياء وضم الراء وفتح الزاي وفي آخرها ذال معجمة

أبو الفضل محمد

إن شاء الله

مع تقديري للكاتب القدير السيد عبد القادر رشيد الناصري أقول : إن من يكتب (إنشاء الله — بإدماج الحرف في الفعل) إنما يقلد سيدنا عثمان (رض) وكذلك كتبها جمع من الصحابة والتابعين وغيرهم من أئمة الفقه والنحو واللغة ، في المصحف وفي غيره من كتب أصول الدين .. وإذن فلا تبعة على كاتبها ولا على (مصحح النماذج) ولا خوف على الفهم من اختلاف الرسم — وتحيتي للأستاذ الجليل

المصحح بدار الرسالة



الطفـــل ..

للقصصى الأمريكى : ف . باركوس

ترجمة الأستاذ عبد القادر حميده

طرقت السكرتيرة الحسناء باب المكتب وقالت تخاطب المستر مارتان مدير الشركة . .

— بالباب سيدة تود — فى إلحاح — مقابلتك

فرفع وجهه عن الأوراق المتراكمة أمامه وقال فى صوت أجش تبدو فيه الصرامة والغلظة . .

— تود فى إلحاح مقابلتى ؟

— أجل وقد أبديت لها العذر فى أن لديك أعمالا هامة تشغل كل وقتك . . وأنه يجب لكى تقابلك أن يكون هناك موعد سابق محدد . بيد أنها لم تزدد إلا إصرارا وإلحاحا . وأخبرتنى أنها آتية من بعيد وليس فى استطاعتها أن ترجع مرة أخرى . .

فضرب مارتان بيده على المكتب فى غضب وقال :

كان فى مقدورك أن ترغميها على الانصراف بشئ من اللباقة

فأجابت السكرتيرة فى عناد .

— لقد حاولت فلم أوفق. فهى شديدة الرغبة فى أن تقابلك . . وإنه ليبدو لى من خلال صوتها أنها تستحق الشفقة والعطف . .

فقال مرتان هازئا :

— امرأة تدافع عن امرأة . . آه لو أن سكرتيرى كان رجلا لعرف الآن كيف يحملها على الانصراف. وعلى أى حال . . هل أخبرتك عن اسمها ؟

— لقد رفضت أن تذكره لى . .

— ائتينى بها . . وليكن ما يكون

وبعد برهة . . كانت تقف على عتبة الباب امرأة فى العقد الثالث من عمرها . وقد رانت على معالم وجهها مسحة من الصمت الجامد وتنطق مشيتها بالكبرياء والاعتزاز .

وبعد أن أغلقت السكرتيرة الباب . . رفع مارتان وجهه عن الأوراق مرة أخرى . . وأخذ يتأمل وجه الزائرة خلال منظاره الكبير . . برهة . . ثم بدا عليه أنه يعرفها فقد رفع حاجبيه فى شئ من الدهشة وقال : « روث . . ؟

بيد أن الدهشة التى صاحبته كانت تدل على أنه غير مرتاح إلى لقائها . . وانفرجت شفتا روث عن ابتسامة رقيقة وقالت :

— أجل ، — أنا — روث

— لقد انقضى أمد طويل منذ التقينا لآخر مرة . . سنوات كثيرة . . سبع على ما أذكر . .

فأجابت فى صوت هادئ وكأنها تحاول ألا تستعيد تلك الذكريات :

— نعم . . سبع سنوات كاملة . .

— لقد أسعدنى لقاؤك كثيرا . . . ولكن . . كيف حالك اليوم أنت . . و . . روى . ؟

فصمتت وقتا . . ثم قالت :

— لقد كان الحال على مايرام . . ولقد منحنا القدر طفلا جميلا . . . غير أن روى يعانى مرضا شديدا . . وقد أشار عليه الطبيب بأن يرحل إلى الخارج . فيقضى عاما لا يزاول فيه عملا من الأعمال . . ليتسنى له استعادة صحته — وإلا . . .

وكفت روث عن الحديث فسألها مارتان فى تحفز :

— وإلا ماذا ؟

— وإلا كان مآله القبر

فقال مارتان متسائلا :

— وطبعا أطاع روى استشارة الطبيب واعتزم السفر . .

— كلا !

— ولماذا ؟

— إن السفر يتطلب نفقات . . وليس لدينا مال . . ولذلك زرتك اليوم أطلب منك أن ترد إلى روى الألفى جنيه اللتين سرقتهما منه . . منذ سبع سنوات . .

وكان صوتها جافا قاسيا . . فقال مارتان ثائرا :

— يا لك من حمقاء ! كيف تجرئين على توجيه هذه الإهانة إلى ؟

ولـكن روث لم تتحرك من مقعدها . . وإنما قالت في هدوء :

— إهانة ! هل تنكر أنك سرقته . ؟

فكظم مارتان غيظه . . وقال :

— إن سلوكك هـذا يدهشني . . لا شك أنك تعرفين أن زوجك قد استثمر ألفي جنيه في الشركة . فإذا أفلست الشركة . . وأخفقت الأعمال . . أتيت هنا ترمينني بالتهم . . وتزعمين أنني سرقت أموال زوجك . .

— ولـكنك يا صاحبي لا تجهل أن الشركة كانت على شفا الإفلاس . . بل كانت مفلسة فعلا . . في الوقت الذي ساهم زوجي فيها . . والأدهى من ذلك أنك دعوته إلى المساهمة وأنت مديرها . . وعالم بحالها . . والذي آسف له أنك لم تكتف بذلك . . بل ضاعفت من مرتبك ونفقاتك . . فلما أفلست الشركة . . غادرت البلدة . . واختفيت . خبرني . . في أي شريعة يحق لمدير شركة مفلسة أن يضاعف مرتبه ونفقاته . . وأنت الذي حرضتني على أن أدفع بزوجي ليشترك وإياك في الشركة المزعومة . .

فقال مارتان في دهاء :

— إذن كان لك عليه نفوذ كبير . .

— بلا شك . . إنني لا أجهل ما ترمي إليه من وراء هـذا السؤال . . لقـد كنت تعتقد يا مارتان أنني أعشقك ولـكن الحقيقة أنهـا كانت أيام نزق وطيش . . ولو لم أكن طائشة لما اشتركت في تدبير المؤامرة التي سلبت بها زوجي ألفي جنيه . . والآن . . أتريد أن تعيد إلى ذلك المال . ؟

— كلا بالطبع . . فإن الخسارة قد لحقتني كما لحقت زوجك . . بإفلاس الشركة . .

— هذا بهتان . .

فنهض مارتان واقفا وقال في ثورة جامحة :

— اغربي عن وجهي أيتها الماكرة . . إن هـذه الإهانات لا أحتملها منك . . غادري مكتبي حالا . .

— حسنا . . سأغادر مكتبك الآن . . ولـكن أرجو أن تفسح لي صدرك لأصارحك بشيء قبل أن أغرب عن وجهك يا مستر مارتان . إن الشيء الوحيد الذي يقض مضجع روي هو أن صحته تحول بينه وبين إعانتنا على السير في ركب الحياة . أي لا تمكنه من أن يعولنا . أنا وابني . . وهو دائما شديد القلق علينا . . وكل الذي أخشاه أن يدفعه اليأس إلى التخلص من تلك الحياة . . ولـكن الذي عزمت عليـه هو أنني إذا عدت إلى البيت سأحدثه بشيء يصرفه عن الاهتمام بأمرينا . .

فقال مارتان يسألها :

— أفصحي فإن في كلامك غموضا

هذا الشيء الذي سأدلي به إلى زوجي . . هو أن الطفل الذي يظنه ابنه ليس في الواقع إلا ابنك أنت. وحين سمع مارتان هـذه الـكلمات امتقع وجهه . . وامتدت عليـه ظلال من الأحاسيس والانفعالات.. واستطردت روث تقول :

— ماذا حدث يا عزيزي مارتان ؟ إنني أراك شديد الاضطراب . . منذ سبع سنوات . . عقب ساعات الطيش التي عشنا فيها معا . . وعقب سلبك زوجي الألفي جنيه . خرجت من المدينة . . والآن بعد شهور قليلة سيبلغ الطفل سبع سنوات . . فهل أدركت أنه ولدك ؟

فأجابها مارتان في حدة :

إني لا أصدق حرفا مما تقولين . .

فهزت روث كتفيها بلا اكتراث وقالت :

— إن هذا لا يضيرني . . تصدق أو لا تصدق . . ولـكن . . ثق تماما أن زوجي سيصدق هذا القول وسوف لا ينكر منـه شيئا . . فليس من المعقول أن تعترف زوجة لزوجها زورا بأنها عبثت بشرفه وأن من يظنه ابنه ليس إلا ابن عشيقها . . ثم إن الطفل شديد الشبه بك . . وسأدل روي على مواضع الشبه بينكما . . وعندئذ سيعرف قطعا صدق حديثي

فقال مارتان محاولا أن يصرفها عن هذا الرأي:

— ولـكنك بهذا سوف تثيرين حول نفسك الشبهات . . وستقضين على نفسك وعلى سمعتك

— نفسي وسمعتي ؟ . . ليكن ! . لقد لوثت شرف روي . .

وبددت أمواله وأغريته على أن يلق بها إلى السارق .. والآن .. أرى صحته تتقهقر .. وأصبح مفلسا .. فهل تظن أن قيمة الدنيا ستأخذ حيزا من تفكيرى بعد هذا ؟ .. إنه ايحزننى أن أراه دائم القلق والاضطراب لا يفكر فى شئ سوى مصيرى ومصير الطفل الذى هو طفلك .. ولا شك أنه حين يقف على حقيقة الأمر .. سوف لا يهتم بأمرينا .. ثم سيكرهنى .. سيمقت الزوجة التى عبثت بشرفه .. وكذلك الطفل .. حين يدرك أنه ثمرة السفاح ..

وقال مارتان صائحا :

— يخيل إلى أنك جننت ..

— جننت ..! لست على أى حال أعير قولك اهتماما .. لقد كان روى شهما وكريما معى ..

— إن زوجك مريض .. وفى أزمة مالية .. فهل تريدين أن تزيدى من همومه .. وتثقلى من آلامه بإفضائك إليه ذلك السر الخطير ؟

— لقد قررت فيما بينى وبين نفسى الإدلاء إليه بهذه الحقيقة

فقال مارتان متهكما :

— يا لك من زوجة مخلصة ..! زوج متقاعد مريض .. فتأتى زوجته الوفية المشفقة فتضاعف أحزانه وهمومه !

— تهكم ما شئت .. فإنى على يقين من أن روى لا يألم من أجل نفسه .. وإنما يألم من أجلى أنا والطفل .. وأن الذى أنشده من وراء هذا التصريح .. هو هدوء ضميره .. وذلك هو السبيل الوحيد لإنقاذه ..

— السبيل الوحيد .. كيف ؟؟

— أجل .. لقد أمن روى على حياته لقاء مبلغ كبير .. ولقد لاحظت عليه فى الأيام الأخيرة اهتمامه فى البحث عن مستندات التأمين .. وقرأت ما يجول فى عينيه .. وإنى لا أستبعد أنه ينوى الانتحار ..

فقال مارتان منفعلا :

— ولكن ألا تدركين يا حمقاء .. أن وقوفه على السر سيدفعه إلى التخلص منى لا محالة .؟

فقهقهت روث قهقهة صاخبة وقالت :

— وماذا يهمنى من أمرك إذا هو قتلك .؟ إننى لم أعد أحفل بك أو أحبك

وجلس مارتان إلى مكتبه وتناول دفتر الشيكات وهو يتمتم :

— ولكننى لا أود أن أموت ..

وكتب لها شيكا بألفى جنيه .. وأخذته روث .. وانصرفت وفى طريقها قالت تحدث نفسها :

— يا له من غبي أبله ! لقد خدعته وقلت له إن الطفل ابنه وإنه يبلغ من العمر سبع سنوات..ولو أنه أدرك الآن أن ابنى الوحيد الذى رزقته عمره عام واحد لطار صوابه ..

— عبد القادر حميده